

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة اليرموك - الأردن

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

برنامج ماجستير التربية في الإسلام

المنهج القرآني في تربية اليقين بقدرته الله ودلالاته التربوية

(دراسة في ضوء تربية الله لأنبيائه وأوليائه في القرآن الكريم)

إعداد:

مبارك بن مسلم بن مسعود الشعبي

٩٩٣٥٠٠١٢

إشراف:

الأستاذ الدكتور: محمد علي العمري

الطبعة: ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م

جامعة اليرموك-الأردن
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
برنامج ماجستير التربية في الإسلام

المنهج القرآني في تربية اليقين بقدرة الله ودلالاته التربوية

(دراسة في ضوء تربية الله لأنبيائه وأوليائه في القرآن الكريم)

إعداد:

مبارك بن مسلم بن مسعود الشعبي

٩٩٣٥٠٠١٢

إشراف:

الأستاذ الدكتور: محمد علي العمري

العام: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة اليرموك - الأردن
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات الإسلامية

المنهج القرآني في تربية اليقين بقدرته الله ودلالاته التربوية

(دراسة في ضوء تربية الله لأنبيائه وأوليائه في القرآن الكريم)

The Quranic Way to Promote Certitude (Yakin) about Allah's
Omnipotence, and Its Educational Significance

(A Study Through the Education of Allah for His Prophets and Masters)

إعداد:

مبارك بن مسلم بن مسعود الشعبي

بكالوريوس في الرِّعْظِ الدِّينِيِّ، من معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد في سلطنة عُمان
عام ١٩٩٦ م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في جامعة اليرموك قسم
الدراسات الإسلامية - برنامج (التربية في الإسلام)

التوقيع

لجنة المناقشة

مشرفاً ورئيساً

١. أ.د. محمد علي العمري

عضواً

٢. أ.د. محمد علي حجازي

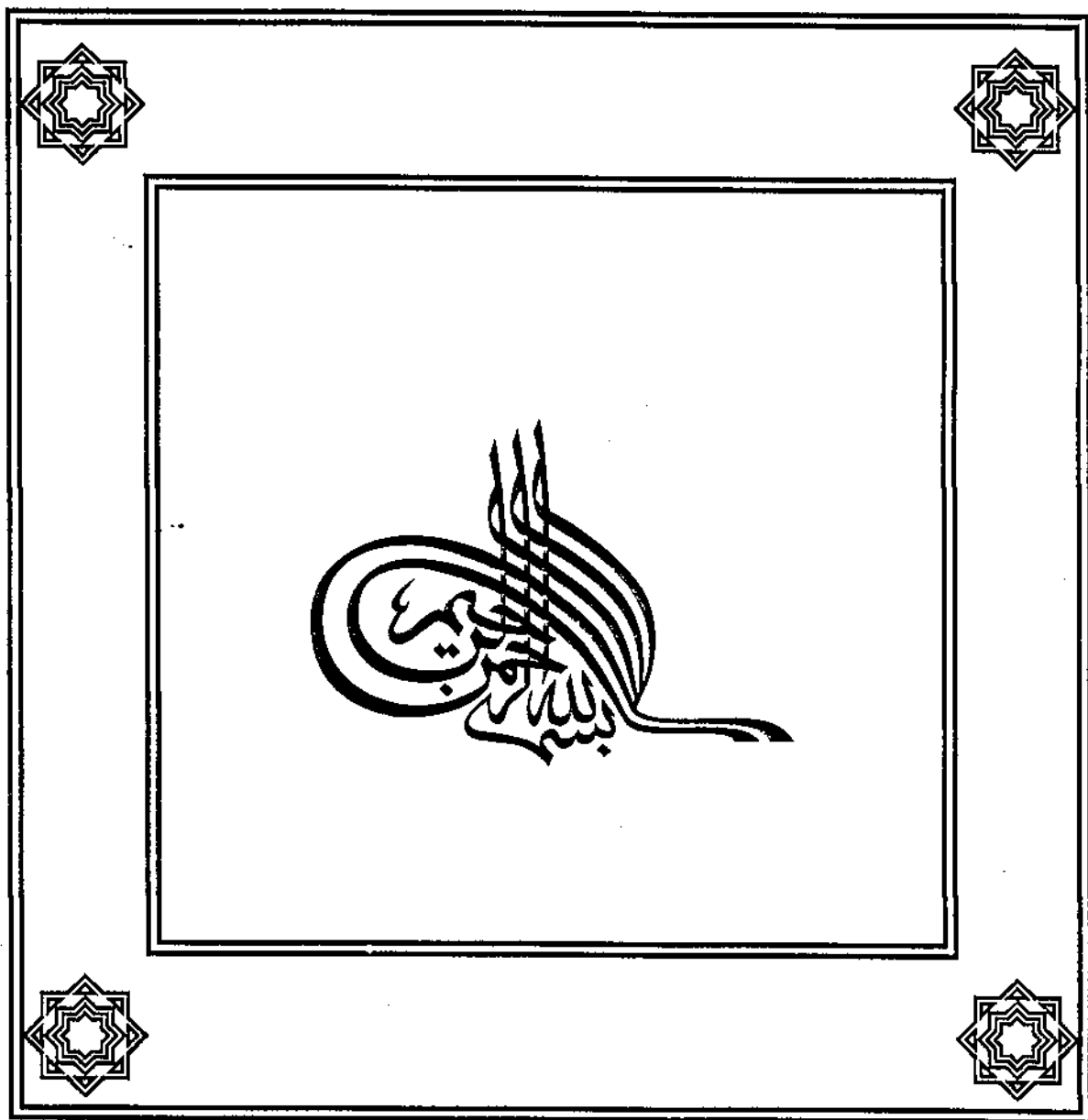
عضواً

٣. د. فايز صالح الخطيب

عضواً

٤. د. محمد فخري مقدادي

العام: ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م



نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بنجاح يوم الاثنين بتاريخ ٣٠ شعبان ١٤٢٢هـ الموافق

٢٠٠٢/١/١٤ م.

الإهداء



أهدي هذا العمل لكل مسلم همه بلوغ ذروة الإيمان ...

وكل داعية يدعو إلى الله على بصيرة ...

وكل مرب يشد الإصلاح والإصلاح ...



شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أشكر الله سبحانه على امتنائه عليّ بالتوفيق في سبيل إنجاز هذه الرسالة، بأن يسر لي السبل ومهد لي الطريق، فله الحمد والمنة.

ومن ثم شكري إلى من لم يأل جهداً، ولم يدخر وسعاً في سبيل دفعي قدماً بالتوجيه السديد والرأي الرشيد حتى خرجت هذه الرسالة بحلتها الطيبة تلك، إلى مشرفي الدعوي والتربوي الأستاذ الدكتور محمد علي العمري - حفظه الله وجزاه الله عني وعن الإسلام خير الجزاء - المشرف على هذه الرسالة.

كما لا يفوتني توجيه الشكر الجزيل إلى وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بسلطنة عمان ممثلة في شخص معالي الوزير الموقر، وكل العاملين في الوزارة على إتاحتهم الفرصة لي بمواصلة الدراسة في هذا البلد الخير، ذي الكفاءات العلمية النيرة، -الأردن- في هذه الجامعة الغراء جامعة اليرموك.

فلهم جميعاً ونكل من أسدى لي توجيهها، وشد لي عضداً، ورفع لي همّة من الإخوة والزملاء لهم مني جزيل الشكر ووافر الامتتان.

والشكر موصول إلى أقطاب العلم، الدكاترة، مناقشي هذه الرسالة عرفاء، الرافعين من شأنها حقيقة، لما أبدوه في سبيل نضجها من تعليمات وما أجادوا به في سبيل جودتها من معلومات، وهم:

- أ.د. محمد علي حجازي.

- د. فايز صالح الخطيب.

- د. محمد فخري مقادي

فألجميع مني جزيل الشكر ووافر الامتتان.

والله الموفق

الباحث

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
صفحة العنوان	أ.....
الإهداء	ج.....
الشكر	د.....
قائمة المحتويات	هـ.....
ملخص الرسالة باللغة العربية	ي.....
مقدمة	ل.....

الفصل الأول: التعريف بمفاهيم الدراسة، وأهميتها؛ وأهمية دراسة حياة الأنبياء والأولياء الصالحين؛ وعلاقة معنى عصمة الأنبياء بمعنى تربية اليقين

فيهم	أ.....
المبحث الأول: التعريف بمفاهيم الدراسة، وأهميتها	ب.....
المطلب الأول: مفهوم مصطلح المنهج القرآني، وأهميته	ج.....
أولاً: مفهوم مصطلح المنهج القرآني	د.....
١ - المعنى اللغوي للمنهج القرآني	هـ.....
٢ - المعنى الإصطلاحي للمنهج القرآني	و.....
ثانياً: أهمية المنهج القرآني	ز.....
المطلب الثاني: مفهوم مصطلح اليقين، وأهميته	ح.....
أولاً: مفهوم مصطلح اليقين	ط.....
١ - المعنى اللغوي لليقين	ي.....
٢ - المعنى الإصطلاحي لليقين	ك.....
ثانياً: اليقين بالله طريق إلى الإحسان	ل.....
المطلب الثالث: -التوكل- الذي هو ثمرة من ثمرات اليقين -وعلاقته بالأسباب	م.....
المبحث الثاني: أهمية دراسة حياة الأنبياء والأولياء عليهم السلام ومعنى تربية اليقين	ن.....
فيهم	هـ.....
المطلب الأول: أهمية دراسة حياة الأنبياء والأولياء الصالحين	و.....
المطلب الثاني: الأنبياء عليهم السلام، ومعنى تربية اليقين فيهم	ز.....

قائمة المحتويات

الموضوع

الصفحة

الفصل الثاني: تحليل نماذج من قصص التربية على اليقين بقدرته الله ورد ذكرها في

القرآن الكريم..... ٣٤

المبحث الأول: نماذج من تربية اليقين بقدرته الله على الرزق..... ٣٧

المطلب الأول: السيدة مريم عليها السلام وتربية الله لها على اليقين بقدرته

على الرزق..... ٣٨

أولاً: الآيات القرآنية التي عرضت المنهج التربوي، المراد استخلاصه..... ٣٨

ثانياً: تحليل مبدئي ومجمل للمحاور العامة والرئيسة للمنهج في هذا النموذج..... ٣٩

المحور الأول: ما بدر منها من تصرف دال على احتياجها لمزيد من تربية اليقين على الرزق..... ٣٩

المحور الثاني: الكيفية التي تمت بها تربية اليقين عندها..... ٤١

المحور الثالث: من دلائل انفراس اليقين الذي تم تربيته فيها..... ٤٢

ثالثاً: المنهج المستخلص من قصة تربية اليقين فيها بإجمال..... ٤٤

المطلب الثاني: أصحاب الجنة الوارد ذكرهم في سورة القلم، وتربية الله لهم على اليقين

بقدرته سبحانه على الرزق..... ٤٥

أولاً: الآيات التي عرضت المنهج المراد استخلاصه..... ٤٦

ثانياً: تحليل مبدئي ومجمل للمحاور العامة في هذا النموذج..... ٤٧

المحور الأول: ما بدر منهم من تصرف دال على احتياجاتهم لتربية اليقين فيهم..... ٤٧

المحور الثاني: الكيفية التي تمت بها تربية اليقين فيهم..... ٤٨

المحور الثالث: من دلائل انفراس اليقين الذي رُبوا عليه..... ٤٩

ثالثاً: المنهج المستخلص من هذه القصة..... ٥٠

المبحث الثاني: نماذج من تربية اليقين بقدرته الله على الإحياء والإماتة..... ٥١

المطلب الأول: سيدنا إبراهيم عليه السلام وتربية الله له على اليقين بذلك..... ٥٢

أولاً: الآيات القرآنية التي عرضت المنهج المراد استخلاصه..... ٥٣

ثانياً: تحليل مبدئي ومجمل للمحاور العامة في هذا النموذج..... ٥٣

المحور الأول: ما بدر من سيدنا إبراهيم من تساؤل دال على احتياجه لمزيد من اليقين..... ٥٣

المحور الثاني: الكيفية التي تمت بها تربية اليقين فيه..... ٥٥

المحور الثالث: من دلائل انفراس اليقين الذي رُبي عليه..... ٥٧

ثالثاً: عناصر المنهج المستخلص من قصة تربية الله لسيدنا إبراهيم على اليقين بقدرته سبحانه

على الإحياء والإماتة..... ٥٨

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
المطلب الثاني: سيدنا العزيز عليه السلام الوارد ذكره في سورة البقرة وتربية الله له على اليقين بقدرة الله على الإحياء والإماتة.....	٥٨
أولاً: الآيات التي عرضت المنهج المراد استخلاصه من قصة العزيز (الرجل الذي مر على قرية وهي خاوية).....	٦٠
ثانياً: تحليل مبدئي ومجمل للمحاور العامة والرئيسية في هذا النموذج.....	٦٠
المحور الأول: ما بدر من العزيز من تساؤل دال على احتياجه لمزيد من اليقين على قدرة الله.....	٦٠
المحور الثاني: الكيفية التي تمت بها تربية اليقين فيه.....	٦١
المحور الثالث: من دلائل انغراس اليقين لديه.....	٦٢
ثالثاً: عناصر المنهج المستخلص من قصة تربية الله لسيدنا العزيز على اليقين بقدرة الله على الإحياء والإماتة.....	٦٣
المبحث الثالث: نماذج من تربية اليقين بقدرة على الحفظ والحماية.....	٦٤
المطلب الأول: سيدنا يعقوب عليه السلام، وتربية الله له على اليقين بقدرته سبحانه على الحفظ والحماية.....	٦٥
أولاً: الآيات القرآنية التي عرضت المنهج التربوي المراد استخلاصه.....	٦٦
ثانياً: تحليل مبدئي ومجمل للمحاور العامة والرئيسية في هذا المنهج.....	٦٨
المحور الأول: ما بدر من سيدنا يعقوب من تصرف دال على احتياجه إلى تربية اليقين فيه.....	٦٨
المحور الثاني: الكيفية التي تمت بها تربية اليقين فيه.....	٧٠
المحور الثالث: من دلائل انغراس اليقين فيه.....	٧١
ثالثاً: المنهج المستخلص من قصة تربية الله لسيدنا يعقوب على اليقين بقدرة الله سبحانه على الحفظ والحماية بإجمال.....	٧٢
المطلب الثاني: سيدنا موسى عليه السلام وتربية الله له على اليقين بقدرة الله على الحفظ والحماية.....	٧٣
أولاً: الآيات التي عرضت المنهج المراد استخلاصه.....	٧٤
ثانياً: تحليل مبدئي ومجمل للمحاور العامة والرئيسية في هذا المنهج.....	٧٥
المحور الأول: ما بدر من سيدنا موسى عليه السلام من تصرف دال على احتياجه إلى غرس مزيد من اليقين.....	٧٥
المحور الثاني: الكيفية التي تمت بها تربية اليقين في موسى عليه السلام.....	٧٦
المحور الثالث: من دلائل انغراس اليقين لدى سيدنا موسى عليه السلام.....	٧٨

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
ثالثاً: المنهج المستخلص بإجمال.....	٨٠
المبحث الرابع: نماذج من تربية الله على اليقين بقدرة الله على النفع والضرر.....	٨١
المطلب الأول: سيدنا يوسف عليه السلام وتربية الله له على اليقين بقدرته سبحانه على النفع والضرر.....	٨٢
أولاً: الآيات التي عرضت المنهج المراد استخلاصه.....	٨٣
ثانياً: تحليل مبدئي ومجمل للمحاور العامة والرئيسة في هذا المنهج.....	٨٤
المحور الأول: ما بدر من سيدنا يوسف عليه السلام من تصرف دال على احتياجه لحزب من تربية اليقين فيه.....	٨٤
المحور الثاني: الكيفية التي تمت بها تربية اليقين فيه.....	٨٦
المحور الثالث: من دلائل انغراس اليقين على أن الله هو النافع والضرار.....	٨٧
ثالثاً: المنهج المستخلص من تربية الله لسيدنا يوسف عليه السلام على اليقين بقدرة الله على النفع والضرر بإجمال.....	٨٨
المطلب الثاني: سيدنا يونس عليه السلام وتربية الله له على اليقين بقدرته سبحانه على النفع والضرر.....	٨٩
أولاً: الآيات القرآنية التي عرضت المنهج القرآني في هذا النموذج.....	٩٠
ثانياً: تحليل مبدئي ومجمل للمحاور العامة والرئيسة للمنهج المراد استخلاصه في هذا النموذج.....	٩١
المحور الأول: التصرف الذي بدر من سيدنا يونس عليه السلام والدال على احتياجه إلى غرس مزيد من اليقين فيه.....	٩١
المحور الثاني: الكيفية التي تمت بها تربية اليقين فيه.....	٩٣
المحور الثالث: من دلائل انغراس اليقين وتربيته في سيدنا يونس عليه السلام، اليقين على أن الله هو القادر على النفع والضرر.....	٩٤
ثالثاً: المنهج المستخلص من تربية الله لسيدنا يونس عليه السلام على اليقين بقدرة الله على النفع والضرر.....	٩٥
المبحث الخامس: نموذج من تربية الله على اليقين بقدرة الله على النصر والغلبة.....	٩٦
المطلب الأول: الصحابة الكرام رضي الله عنهم وتربية الله لهم على اليقين بقدرة الله على النصر والغلبة من خلال غزوة حنين.....	٩٨
أولاً: الآيات القرآنية التي عرضت المنهج الذي ربي عليه الصحابة.....	٩٩

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
ثانياً: تحليل مبدئي ومجمل للمحاور العامة الرئيسة للمنهج المراد استخلاصه في هذا النموذج	١٠٠
المحور الأول: التصرف الذي بدر من الصحابة والدال على احتياجهم إلى تربية اليقين فيهم ١٠٠	١٠٠
المحور الثاني: الكيفية التي تمت بها تربية اليقين فيهم.....	١٠١
المحور الثالث: من دلائل انفراس اليقين في قلوب الصحابة الكرام بعد تلك التربية.....	١٠٣
ثالثاً: المنهج المستخلص في هذا النموذج بإجمال.....	١٠٤
الفصل الثالث: عناصر المنهج القرآني في تربية اليقين بقدرة الله المستخلص من تربية	
الله لأنبيائه وأوليائه في القرآن الكريم، ودلالاته التربوية.....	
١٠٦.....	١٠٦
المبحث الأول: عناصر المنهج القرآني في تربية اليقين بقدرة الله المستخلص من تربية	
الله لأنبيائه وأوليائه في القرآن الكريم.....	١١٠
المطلب الأول: أسلوب الحرمان من المحبوبات.....	١١٢
المطلب الثاني: أسلوب التجربة والمشاهدة الحسية المحفوفة بالمشقة.....	١١٧
المطلب الثالث: أسلوب التذكير بالمصائب والنعم.....	١١٨
المبحث الثاني: الدلالات التربوية للمنهج، والتوصيات.....	١٢٤
الخاتمة والتوصيات.....	
١٣٠.....	١٣٠
التوصيات.....	١٣٢
قائمة المصادر والمراجع.....	١٣٤
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية.....	١٤١

ملخص

المنهج القرآني في تربية اليقين بقدرة الله ودلالته التربوية

(دراسة في ضوء تربية الله لأنبيائه وأوليائه في القرآن الكريم)

إشراف

إعداد

مبارك بن مسلم بن سعود الشعبي الأستاذ الدكتور: محمد علي العسري

تناولت هذه الدراسة دراسة تربية اليقين في القرآن الكريم، وذلك من خلال تحليل تسعة نماذج من قصص الأنبياء والرسل،
عنه تسلام، يرى الباحث أهمية التوكل على اليقين بقدرة الله سبحانه وتعالى المتعددة (القدرة على الشوق، القدرة على الاحسان،
والإيمان، والقدرة على الحفظ والحماية، والقدرة على الشغف والطمع، والقدرة على نصر والتمسك). استخدمنا ساحت من ذات سببين
نحسبهما تجريبياتي، وقد حلل الباحث كل أنموذج، في ثلاثة محاور كالاتي:

المحور الأول: التصرف العملي أو القول الذي ظهر من هذا النموذج، والدال على
احتياجه إلى مزيد من اليقين.

المحور الثاني: الكيفية التي تمت بها تربية اليقين فيه.

المحور الثالث: من دلائل انغراس اليقين الذي تم تربيته فيه.

ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة ما يلي:

أولاً: المنهج الذي ربي الله عليه خاصته من البشر والذي يمكن أن يتخذ منيجه
تربويًا فعالاً ومجدياً، كونه منهجاً قرآنياً - هذا المنهج يتمثل في (المجاهدة
العملية) التي يراها الباحث منهجاً يأتي بعد تعريف المرء بخالقه وصفاته
العلية، بما فيها قدرته المطلقة محدد الرسالة - ويندرج تحت منهج المجاهدة
العملية - المثبتة لما تم معرفته من صفات عن الله جل وعلا - عدة عناصر
استخلصت من قصص النماذج الكريمة التي تم عرضها وتحليلها، وكل عنصر

يعد وسيلة تربوية لليقين، وهذه العناصر هي:

- ١ - أسلوب مجاهدة النفس في إبعادها عن المحبوب من متع الحياة وزينتها بقصد التربية
- ٢ - أسلوب التجربة والمشاهدة الحسية المحفوفة بالمشقة
- ٣ - أسلوب التذكير بالنعيم والمصائب

ثانياً: اليقين التام على الله سبحانه وتعالى ينبغي أن لا ينافس بأدنى يقين على المخلوق.

ثالثاً: فقدان المؤمن -الراجي كمال اليقين على خالقه- لمحبوبه القلبى المتمثل في متاع هذه الحياة وزينتها قد يعد نعمة من الله عليه، وذلك حتى يتفرغ القلب له وحده سبحانه، مما يعني أن حب المؤمن لمحوباته الدنيوية ينبغي أن لا تصل إلى درجة حبه لخالقه بحيث تتسبب هذه المحوبات إلى إبعاده عن القيام بواجبه نحو ربه.

رابعاً: الأوامر الربانية في القرآن الكريم والتوجيهات النبوية في السنة المطهرة كليهما تؤدي إلى تربية اليقين في قلب المرء إذا ما جسدها عملياً في حياته، فإنها تدفع المرء إلى التوجه إلى الله بكلية، وتفرغ القلب عن سواه سبحانه وتعالى.

وفي ضوء النتائج قدمت الدراسة عدة توصيات مفادها:

أن تولى كل المؤسسات التربوية بما فيها الأسرة والمدرسة، وكل الهيئات العامة والخاصة اهتمامها بكل ما من شأنه تقوية اليقين، وزيادة الإيمان. بحيث لا يوجد مجال للفرد يلهو فيه قلبه عن خالقه، أو يعظم أحداً سواه.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فهذه الرسالة تعنى بدراسة موضوع يعد من أولويات أهداف المرء في هذه الحياة، بل يأتي في الدرجة الأولى من تلك الأولويات، وهو اليقين بأن الله على كل شيء قدير، والذي لا يأتي للمرء إلا بمعرفة الله جل شأنه، معرفة لا يساورها انقياس، معرفة تدفع المرء المقدر لله حق قدره إلى ترجمة أوامر من انخرست عظمتها في قلبه. ولأن المنهج هو كتاب الله سبحانه، القرآن الكريم، فقد كانت الدراسة معنية به، وبالتحديد في دراسة بعض القصص القرآني المختصة بقصص بعض الأنبياء والأولياء عليهم السلام، لأن في قصصهم عبرة، وفي ذكر الله لهم حكمة. والباحث في هذه الرسالة يحاول استخلاص المنهج التربوي الذي ربي الله عليه بعض أنبيائه وأوليائه -عليهم السلام- الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم لتكون الدراسة محددة بدراسة نماذج معينة رباها جل شأنه على اليقين بقدرته.

وقد اختار الباحث هذا الموضوع؛ لأن اليقين بقدره الله أعظم كنز يرجو المرء بلوغه ويدعو الله أن يرزقه إياه، لما له من دور فاعل في دفع المرء نحو الطاعة، ورأى الباحث فيه قربة، خاصة أن الباحث يرى أن مثل هذه الدراسة قليلة الوجود، متبعثرة هنا وهناك، والدراسات السابقة عن تربية اليقين ليست بهذه المنهجية التي نهجها الباحث في رسالته هذه، وقد وجد الباحث أثناء البحث عن الدراسات السابقة كتاباً بعنوان (تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين) للدكتور محمد السيد الجليند، ولكن بالرغم من تطابق العنوان مع عنوان هذه الدراسة -إلا أن موضوع الكتاب لا يمت إلى هذه الرسالة بكثير صلة، فضلاً عن عدم تناول ذلك الكتاب للنماذج القرآنية- وهذا ما قرره إدارة القسم المشرف على مشروع هذه

الرسالة بعد اطلاعها عليه-، فكان لهذه الرسالة خصوصية البحث في هذا الجانب واستخلاص المنهج الرباني في تربيته خاصة البشر على اليقين بكمال ذاته ومطلق قدرته.

ولذلك فإن الدراسات السابقة لمثل هذا الموضوع لم تكن بالمنهجية التي انتهجها الباحث في هذه الرسالة.

وقد قسم الباحث الرسالة إلى ثلاثة فصول هي:

الفصل الأول ويعد مدخلاً عاماً للرسالة وفيه مبحثان:

المبحث الأول، ويتضمن التعريف بمصطلحين يراهما الباحث رئيسين. وهما: المنهج، واليقين. مع بيان أهمية كل منهما بشيء من التفصيل.

والفصل الثاني، عبارة عن تحليل النماذج الكريمة التي يقوم الباحث بدراسة لاستخلاص المنهج التربوي منها، فقد أدرج الباحث كل أنموذجين تحت جانب من جوانب القدرة، إذ جعل كل أنموذج في مطلب مستقل.

ففي المبحث الأول الذي يتحدث عن تربية اليقين بقدرة الله على الرزق، جعل في المطلب الأول منه:- السيدة مريم عليها السلام، وفي المطلب الثاني:- أصحاب الجنة الوارد ذكرهم في سورة القلم. وهكذا في باقي المباحث الأربعة الأخرى التي تنطرق إلى بعض من جوانب القدرة الأخرى؛ كالإحياء والإماتة، والحفظ والحماية، والنفع والضرر، والنصر والغلبة. فقد جعل لكل جانب أنموذجين مختلفين؛ عدا أن المبحث الأخير اقتصر الباحث فيه على ذكر مطلب واحد فقط ويتعلق بتربية الله سبحانه للصحاب الكرام رضي الله عنهم على اليقين بقدرته سبحانه على النصر والغلبة.

والنماذج الكريمة التي يقوم الباحث بتحليل مضمونها، أعني ما تعلق بالأنبياء والأولياء عليهم السلام ظهر فيها ما يدل على احتياج أصحابها إلى مزيد من اليقين، حيث تولى الله سبحانه رعاية هؤلاء والأخذ بأيديهم إلى ما من شأنه تقوية يقينهم

بكمال صفاته سبحانه، وهذه الدراسة مختصة بدراسة صفة قدرته جل شأنه بجوانبها المتعددة دون سائر صفاته الأخرى من صفات العلم والإرادة وغيرها. وقد حرص الباحث على الوقوف على منهج الله سبحانه في توجيه هؤلاء المخلصين، والإفادة من هذا المنهج ودلالاته التربوية بالرجوع إلى المصادر الأصلية لكتب التفسير والعقيدة والدعوة والتربية.

وأخيرا الفصل الثالث وبه مبحثان: المبحث الأول عبارة عن المنهج التربوي المستخلص من دراسة النماذج التي درست في الفصل الثاني؛ والمبحث الثاني عبارة عن الدلالات التربوية لهذا المنهج، ومن ثم التوصيات والخاتمة وقائمة المراجع المستخدمة في هذه الدراسة.

وقد جعل الباحث في هذه الرسالة رمزين للاختصار: أحدهما (دط) للإشارة إلى أن الكتاب أو المصدر المستخدم لم يشرف فيه إلى رقم الطبعة، والرمز الآخر (دت) ويشير إلى أن تاريخ طباعته غير محدد.

الفصل الأول

التعريف بمفاهيم الدراسة، وأهميتها؛
وأهمية دراسة حياة الأنبياء والأولياء
الصالحين؛ والأنبياء - عليهم السلام - ومعنى
تربية اليقين فيهم

وفيه بحثان:

المبحث الأول: التعريف بمفاهيم الدراسة، وأهميتها

المبحث الثاني: أهمية دراسة حياة الأنبياء والأولياء الصالحين؛
والأنبياء عليهم السلام ومعنى تربية اليقين فيهم

الفصل الأول

التعريف بمفاهيم الدراسة، وأهميتها؛ وأهمية دراسة
حياة الأنبياء والأولياء الصالحين؛ والأنبياء - عليهم السلام -
ومعنى تربية اليقين فيهم

تمهيد:

بعد هذا الفصل مدخلاً لهذه الدراسة، حيث يطل القارئ من خلاله على أبرز
الأمور وأهمها التي ينبغي توضيحها قبل الشروع في تناول موضوعاته، حتى لا
أي أمر يلزم توضيح أطره العامة وأهدافه الرئيسية.

وفي هذا الفصل سوف يبين الباحث معاني ومفاهيم هذه الدراسة؛ ليكون
المبحث الأول منه عبارة عن التعريف بمفاهيم تلك الدراسة، الرئيسية منها، وأهميتها.
والمبحث الثاني عبارة عن ذكر أهمية دراسة حياة الأنبياء والأولياء الصالحين عليهم
السلام، مع التطرق إلى توضيح معنى تربية اليقين في الأنبياء عليهم السلام. كون
الرسالة تهدف إلى استخلاص المنهج القرآني في تربية اليقين من خلال تحليل
مضامين النصوص الواردة في هذا الشأن.

المبحث الأول: التعريف بمفاهيم الدراسة، وأهميتها

إنه لمن الضروري بمكان التعريف بالمصطلحات والمفاهيم الرئيسة في أي عمل بحثي، لئيتسنى للقارئ معرفة ما يحويه، إذ المصطلحات تعد مفتاحاً يفتح به القارئ خزائن المكتوب.

وفي هذه الرسالة، سيقوم الباحث بالتعريف لمصطلحين رئيسين يعدهما الباحث محور الرسالة ولبيها، وقد جعل كل مصطلح في مطلب مستقل مع بيان مفصل لأهمية كل منهما:

المطلب الأول: مفهوم مصطلح المنهج القرآني، وأهميته

أولاً: مفهوم مصطلح المنهج القرآني

١ - المعنى اللغوي للمنهج القرآني

كلمة المنهج بشكل عام تعني الطريق الواضح، فهي مأخوذة من النهج، وهو الوضوح والاستبانة في الطريق، فنقول: نهج الطريق أي استقام ووضح واستبان^(١).

والمنهج والمنهج تعني الطريق الواضحة^(٢).

واستخدمت اللفظة بمعنى الخطة المرسومة أو المسلوكة في الدراسة والعلم، فقول: منهاج الدراسة، ومناهج التعليم، ومنهج البحث العلمي^(٣). ويقال أيضاً: طريق ناهج، أي واضح بين، وطرق ناهجة وهي الواضحة البينة^(٤). ومنه فالمنهج القرآني هو الطريق الواضح البين الذي أرشدنا إليه القرآن الكريم، وحثنا على أن نسلكه.

والمنهج عام في كل مسلك، ولا يراد به مجرد المحسوسات، ولهذا ورد في الكتاب العزيز: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(٥).

(١) ابن منظور. لسان العرب، ج ٢، ص ٣٨٣، مادة: نهج.

(٢) البستاني، عبد الله، فاكهة البستان (معجم لغوي مختصر من البستان)، ص ١٥١٣.

(٣) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص ٩٦٦.

(٤) المصادر السابق، ص ٩٦٦.

(٥) سورة المائدة، الآية (٤٨).

٢ - المعنى الاصطلاحي للمنهج القرآني

المنهج بشكل إجمالي هو الطريقة العملية الإجرائية التي يمارسها الباحث في إخراج بحثه، كالرجوع إلى المراجع، أو علم الاستنباط، وجمع المادة العلمية، والصياغة والفهرسة إلى آخره من الإجراءات^(١).

كما أنه يعني الخطة أو التخطيط لإعداد شيء ما، وأساسه التفكير سواء أكان هذا الشيء مادياً أم معنوياً، لذا يمكن القول: إنه علم التفكير، أو طريقة كسب المعرفة^(٢).

والمنهج القرآني هو المنهج الرباني الذي هو أساس الشريعة الإسلامية، وعمدتها، وتأتي بعده السنة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، إلى جانب الإجماع والقياس واجتهاد علماء الأمة.

وفي القرآن الكريم توجد مفردات لغوية مثل السبيل، والصراط، وهي تدل على معنى واحد هو الطريق، والتي عبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم بالمحجة، وفي القرآن الكريم بالسبيل، يقول سبحانه مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣).

فالمنهج القرآني طريق يعد المثل الأعلى وأنموذج الحياة المعنوية والمادية التي يراد للإنسان المسلم أن يحيها في ظل المجتمع في ضوء علاقات كل منهم بالخالق والكون والإنسان والحياة الآخرة^(٤).

وبالإجمال يمكن القول بأن المنهج القرآني هو مجموعة من القواعد والإجراءات في موضوع ما، مستمدة من القرآن الكريم، تعد أساساً فكرياً ومرشداً عملياً للسير عليها في هذه الحياة.

(١) الزبيدي. مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر. ص ١٥.

(٢) ناصر، منهج الدعوة عند الإباضية، ص ١٦.

(٣) سورة يوسف. الآية (١٠٨).

(٤) انكلياني. أهداف شريعة، ص ١١١.

ثانياً: أهمية المنهج القرآني

يعد القرآن الكريم أبلغ وأعظم المعجزات التي أيد الله بها رسله وأنبيائه كافة، ذلك لأنها باقية على مر الزمن، ناطقة بنبوة خير البشر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في كل زمان ومكان، على حين أن سائر المعجزات الأخرى التي أيد الله بها سائر أنبيائه قد انتهت وذهبت وأصبحت تاريخاً وأخباراً تذكر.

والقرآن الكريم هو الروض الرباني الينع الذي يقوم بين جملة وسوره وآيه تتاسب بارع، وارتباط محكم، وائتلاف بديع ينتهي إلى حد الإعجاز^(١).

إن الله سبحانه عندما أمر عبده بالسير على المنهج القرآني القويم إنما أراد أنه أن يكون روحاً يبعث الروح، وحياة تملأ الدنيا حياة، ورسولاً من رسل السلام والرحمة والنجاة.

كما يريد سبحانه أن يكون أهل العلم من أتباعه أصحاب همم عالية، ونفوس أبية، لا يشتركون بعهد الله ثمناً قليلاً، ولا يريدون بعلمهم عرضاً أدنى إنما يريدون وراثة الأنبياء في إصلاح العالم، وتبليغ دعوة الإسلام على وجهها لطبقات الخلق، وتنفيذ أحكام الله في الأقضية وسائر شؤون الحكم^(٢).

إن البشر حين يتكرون للمنهج القرآني (المثل الأعلى) ويحاولون أن يضعوا للحياة البشرية مثلاً أعلى من تلقاء أنفسهم، ومنهجاً آخر للمعرفة والسلوك إنما يضعون نماذج سيئة ضارة (مثل سوء)^(٣)، يقول سبحانه ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السُّوءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٤).

والفارق الرئيس بين المثل الأعلى الإلهي وبين المثل السوء، هو أن الأول يستند إلى وعي كامل بقوانين الخلق وسنن الوجود وغاياته العليا، بينما يتخبط الثاني في مجالات الظن والتصورات الجزئية أو الباطلة ويصطدم مع قوانين الخلق وحقائق

(١) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ١، ص ٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٥، ٦.

(٣) انكيلائي، أهداف التربية، ص ١١٢.

(٤) سورة النحل، الآية (٦٠).

الحياة ومقاصدها العليا^(١)، يقول سبحانه وتعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾^(٢).

هذا ويمكن إجمال أهمية المنهج القرآني في النقاط التالية:

١ - تكمن أهمية المنهج القرآني من حيث كونه رباني المصدر، فهو هبة للإنسان من لدن الله جل وعلا ورحمة له من عنده^(٣)، فهو الروح التي تحيا بها أرواح من أراد الحياة الحقيقية، يقول سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابَ وَلَا الْإِيمَانَ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾^(٤).

وبما أنه رباني المصدر، فهو يكفل للمرء المسلم الحياة المستقرة السوية، يقول سبحانه: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥)، فينزه الآية الكريمة تبين حالة صنفين من البشر، الصنف الأول الشقي الضال عن طريق الله، المحروم من هداه، فاتخذ له مساراً غير مسارها، وطريقاً غير طريقها، فهو أبداً في تعثر وعناء، وضلال؛ والثاني حال السعيد المهتدي إلى الله، المتمتع بهداه^(٦).

٢ - المنهج القرآني يعد القوة الدافعة التي تحقق مدلولها في عالم الواقع، إذ أنه يستجيش ضمير الإنسان لتحقيق غاية وجوده، كما يرسمها ذلك المنهج القويم^(٧). إذ المعلوم أن الإنسان في هذه الحياة إنما خلق لطاعة الله وحده، وقد اقتضت حكمة الله، وشاءت إرادته أن تكون في هذه الحياة تيارات تتناوش حياة هذا الإنسان من هنا وهناك، إذ الحياة تقوم على هذا القدر من التنازع بين الرغبة في الانسجام مع قوانين الكون وسنن الوجود، تنفيذاً لأوامر الله، وبين تيارات مهلكة تولى الشيطان دعوة الناس إليها والتمكين لها في النفوس، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَرِنَا لِيَوْمِ فِي

(١) انكليبي، أهداف التربية، ص ١١٢.

(٢) سورة محمد، الآية (٣).

(٣) قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص ٤٦.

(٤) الشورى، الآيات (٥٢، ٥٣).

(٥) سورة تبارك، الآية (٢٢).

(٦) قطب، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٦٤٤.

(٧) قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص ١٠.

الأرضِ وَلَا غُورِيَّتُهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ^(١). والشيطان الرجيم وإن كان متوعداً بنهم، لكنه ضعيف أمام حسم المؤمن وحزمه، وذلك من لطف الله سبحانه وكمال عدله، إذ لم يجعل للشيطان سلطاناً على الناس. وقد قال الشيطان الرجيم نفسه لأتباعه الذين فتتهم بغوايته لهم وصدهم عن المنهج القويم، كما يحكى عنه رب العزة في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَا تَلُمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(٢). وهذا التبرؤ الذي أخبرنا الله به سيكون يوم القيامة.

والاستسلام للدنيا يعد تياراً ثانياً، وهل الدنيا إلا متاع الغرور، ودنياً هذا وصفها جديرة بأن يحذر الإنسان منها ليكون أكثر اتزاناً في تعامله معها. فقد قال تعالى في وصفها: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ^(٣).

والنفس الأمارة بالسوء والواقعة بين جنبات المرء، تعد تياراً ثالثاً يبغى دمار المرء وهلاكه بوساوسها، وميلها إلى الشهوات وإلحاحها على الضعيف، بترك الحق واتباع الهوى. ولكن تبقى العزيمة الوقادة عند المرء المؤمن الذي يدحض بالمنهج الذي ارتضاه له ووفق إليه كل ترهه ندعوه إليها نفسه، متذكراً أنه المسؤول الوحيد عما تتصرفه يده في دنياه.

٣ - تكمن أهمية المنهج القرآني في أنه لا يتصادم مع الفطرة، وهو في الوقت ذاته لا يدركه حق إدراكه من يعيش خالي البال من مكابدة الجهد، ومعاناة المشاعر التي تصاحب تلك المكابدة في عالم الواقع^(٤)، وجيد الإيمان هو الذي ينسجم مع التكليف ولا يشعر معه بالمشقة فضلاً عن الإحساس بارتياح القلب وإن كان في التكليف عادة تقييد لنزوات النفس ظاهرياً^(٥).

(١) سورة الحجر، الآيات (٣٩، ٤٠).

(٢) سورة إبراهيم، الآية (٢٢).

(٣) آل عمران، الآية (١٨٥).

(٤) قطب، خصائص تصور الإسلام ومفوماته، ص ٧.

(٥) الشعراوي، فتاوى (كل ما يهم المسلم في حياته ويومه وغده)، ج ٢، ص ٨٦.

ولكن هذا التكليف والإحساس بالنقييد بالمداومة لا يثبت أن تتروض عليه النفس^(١). فالمنهج القرآني لا يتصادم مع الفطرة السليمة التي لم يتدخل في خلقتها أي عامل، ومن هنا تكمن أهمية انتشار الناشئة الصغار من وكر بيئة فاسدة قد يسقطون في غيها، أو أيدي مفسد طالح له تأثيره على تلك الحفن الطرية إذ أن فطرتهم لم تشبها شائبة بعد.

٤ - المنهج القرآني يُبعد الإنسان من الوقوع في الظلم، أياً كان، فضلاً عن التمكين من الوصول إلى الهداية، يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٢).

فهم مهتدون في ذاتهم، مهتدون إلى أسباب الأمن وحقيقته، مهتدون إلى ما يصلح شأنهم ويبعد الشر عنهم، ذلك بأنهم آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بشرك ظاهر أو خفي. والشرك لا ينحصر في صنم يعبد، بل قد يقع المرء في الشرك من حيث لا يحتسب -والعياذ بالله-، فمن الناس من هو عبد لشهوته، ومنهم من هو عبد للدرهم والدينار، ومنهم من هو عبد للمنصب والجاه، بل هناك من يعطي المخلوق الضعيف صفات لا تعطي إلا للخالق سبحانه من حيث الاعتزاز به والركون إليه والإخلاص له، كما أن بعض الأهواء ما تتخذ آلهة من دون الله -والعياذ بالله-، يقول سبحانه عنهم: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغيرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣)، فمن تسلط عليه هواه لا يبالي بما يقع فيه من ظلم الناس وإساءتهم لأن الهوى مضل مفسد^(٤). فالمنهج القرآني يجنب المرء غياهب الظلم إذ يعد الحصن الحصين، والدرع المتين، الواقى للمرء عن أن يظلم نفسه قبل كل شيء.

فالمنهج القرآني يجعل النفس تستحضر العواقب في كل شأن، مما يعين على تحسين البدايات في كل شيء، ولا ينجو المرء من سوء العواقب إلا حين يبصر المقدمات بنور من ربه حتى يسلم من موات النفس، ويخرج من الظلمات، يقول

(١) الشعراوي. الفتاوى، ص ٢٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية (٨٢).

(٣) سورة القصص، الآية (٥٠).

(٤) الراوي، القرآن والإنسان، ص ٥٤، ٥٥.

سبحانه: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١). فالمنهج القرآني يحمل النفس على الجادة بأن لا يدعها تلهث وراء الرغائب، وتتسى النتائج والعواقب، ويحمل النفس على الصدق في كل شيء بحيث توقن أن ظلمها لغيرها ظلم لها تحمله يوم القيامة^(٢).

٥ - وضوح المنهج القرآني، ويسر التعامل معه، يجعل كل ذي عقل ولب مبتعداً بعد المشركين - عن أن يكون متألهاً طاغياً على ذات الله العلية^(٣)، إذ كم من إنسان لم يحكم عقله، ولم يتبع منهج خالقه، شرع لنفسه تشريعاً لم يأذن به الله، فخرج من سلطان ربه وتحرر من عبوديته لله فتمرد وتاه، يقول سبحانه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٤). وهناك من لم يكلف نفسه عناء البحث - الواجب عليه - عن ماهية المنهج القرآني وحقيقته، فاقصر على أنها الصلوات والنوافل والأذكار فحسب، فغير وبدل، وتمادى في انتهاك أعظم الحرمات حتى بات كالمستحل لها من كثرة الاقتراف لها، على ما في ذلك من تعد لحدود الله سبحانه، وقد وبَّخ الله بني إسرائيل وقد كانوا كذلك؛ حيث قال سبحانه: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٥).

٦ - أهمية المنهج القرآني تكمن في كونه مهتماً بعمارة الكون فضلاً عن عمارة الآخرة، ومن هنا كان للعبادة في الإسلام معنى شمولي روعيت فيه عمارة الدنيا، وصلاح الآخرة، إذ عمارة الكون عبادة، والتمتع بطبيعتها عبادة، ولم يخل شأن من شؤون هذه الدنيا من توجيه الشارع الحكيم وتعليماته^(٦).

(١) سورة الأنعام، الآية (١٢٢).

(٢) الراوي، انفراد والإنسان، ص ٥٥.

(٣) البيهقي، كبرى اليقينات، ص ٣٠٧.

(٤) سورة المصطفين، الآية (١٤).

(٥) سورة البقرة، الآية (٨٥).

(٦) كرزون، منهج الإسلام في تركية النفس، ج ١، ص ٢٥.

٧ - المنهج القرآني يهدف إلى بناء أمة ذات طابع خاص متميز، أمة أنيط بها مهمة قيادة البشرية، وتحقيق المنهج في الأرض، وإنقاذ البشرية مما كانت تعانيه من القيادات الضالة، والمناهج الضالة^(١). فالمنهج يمدّها بالرسالة التي تجاهد من أجلها^(٢)، خاصة وأن المنهج عام لكل الناس، فالله سبحانه وتعالى وفي كثير من آياته يخاطب كل الناس بقوله: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ»، وهذا الخطاب متوجه إلى المؤمنين كما هو موجه إلى الكفار أيضاً. وتلك الأمة التي يهدف المنهج إلى تكوينها أمة شكر وثناء لله سبحانه، ولذلك اقتضى النهج الرباني القويم تذكير أمة القرآن بالأمم السابقة التي بطرت معيشتها، وما إخباره سبحانه بإهلاكها - أي الأمم السابقة - إلا درس لأهمية السير على المنهج، يقول جل شأنه: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ»^(٣).

فالمعاصي وإن نالت الأنفس بسببها لذة ما، تظل شراً، فهي بمثابة طعام لذيق شهية ولكنه مسموم، إذا تناوله الأكل تلذذ بأكله، وطاب له مساعه، وبعد قليل يفعل به ما يفعل^(٤)، فتهلك الأمم بفساد الأفراد ولذلك نجد منهج القرآن يحذر من مغبة معصية الأفراد، وأن الواجب الأخذ بأيديهم بأي وسيلة كانت، للحيلولة دون تسببهم في تدميرها، يقول سبحانه: «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ»^(٥).

إن الاستقامة عين الكرامة التي يوفق الله إليها من يشاء من عباده من بعد أن يجاهد المرء نفسه لنيلها والتشرف بنشرها، ولن تكون هناك استقامة على طريق معتدل إلا إذا كان المنهج سليماً، وباستقامة الأفراد تستقيم المجتمعات والأمم، وباستقامة الأمة من خلال السير على المنهج المرتضى لها تتفتح عليها بركات السماء والأرض، وذلك وعد من الله لعباده في هذه الحياة، يقول الله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا

(١) نفس. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص ٦.

(٢) الكيلاني. أهداف التربية، ص ١١٢.

(٣) سورة الرعد، الآية (١١).

(٤) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ص ١٠.

(٥) سورة الأنفال، الآية (٢٥).

كَانُوا يَكْسِبُونَ»^(١)، ويقول جل شأنه واعداء أهل الكتاب إذا ما ساروا على المنهج الرباني الذي أنزله إليهم: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ»^(٢).

المطلب الثاني: مفهوم مصطلح اليقين، وأهميته

أولاً: مفهوم مصطلح اليقين

١ - المعنى اللغوي لليقين

اليقين: يقن الأمر يقناً ويقناً ثبت ووضح فهو يقين وفلان يقن الأمر وبالأمر. علمه وتحققه^(٣).

واليقين: إزاحة الشك والعلم الحاصل عن نظر واستدلال.

واليقين: يقال رجل يقن وذو يقن أي لا يسمع شيئاً إلا أيقن به ولم يكذبه^(٤).

وهو اطمئنان النفس إلى حكم مع الاعتقاد بصحته.

وتأتي لفظة (الظن) بمعنى اليقين. كقوله سبحانه: «قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ»^(٥).

وقال دريد بن الصمة:

فقلت لهم ظنوا بألفي مرجح
سراتهم في الفارسي المسرد

أي: أيقنوا^(٦)، وهو نقيض الشك.

(١) سورة الأعراف، الآية (٩٦).

(٢) سورة المائدة، الآية (٦٥، ٦٦).

(٣) البستاني، محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية)، ص ٩٩٣.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ٤٥٧، مادة يقن.

(٥) سورة البقرة، الآية (٢٤٩).

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ص ٤٥٧.

٢ - المعنى الاصطلاحي لليقين

يمكن ترتيب تعريفات اليقين على أربع درجات متتالية؛ وكل درجة من درجات تعريفات اليقين ذات معنى اصطلاحى مستقل، ولكنها في نفس الوقت تعد خطوة لا بد منها لما بعدها لبلوغ ذروة اليقين وهي كالتالى:

الدرجة الأولى: اليقين: هو علم لا شك فيه.

الدرجة الثانية: اليقين بالشىء: هو التصديق به وغلبته على القلب واستيلاؤه عليه حتى صان هو المتحكم والمتصرف فى النفس بالتحريض والمنع.

فاليقين بالموت مثلاً الكل مشترك بحتميته، ولكن فى الناس من لا يلتفت إليه، ولا إلى الاستعداد له وكأنه غير مؤمن به، ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعاً لغيره^(١)، وهكذا يقاس اليقين بالرزق وغيره.

الدرجة الثالثة: اليقين: هو امتلاء القلب بالنور، وانفساح الظلمة عنه؛ بحيث يرى الأشياء على حقيقتها، ويرى أنها كلها من الله^(٢)، رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط بل يرى أن كل واسطة هي نفسها مسخرة.

الدرجة الرابعة: اليقين: درجة تتكشف فيها الحجب الغيبية عن المرء بحيث يرى الأمور بنور البصيرة. فالناس -إلا من رحم الله- تعرف بعقلها أن الله مطلع على عبادته، وقريب منهم، ولكن لم تتشرب ذلك الأمر قلوبهم، بحيث تراه بنور البصيرة، والسذي ينجم عنه الخوف الشديد من الله والاستحياء منه حق الحياء بحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى.

(١) الحيطاني. فناصر الحيرت، ج ٣، ص ٢٧٦.

(٢) ابن قيم الجوزية، مدارك السالكين، ج ٢، ص ٤١٣.

وهذه الدرجات يراها الباحث كمرحلة تدرج لبلوغ الذروة من اليقين، سواء حصل ذلك بالنظر أي العيان، أو بالتجربة كبحوث واكتشافات العلم المادي، أو بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب. وإلا فيكل درجة من الدرجات كفيلا بصقل المرء ليندفع إلى فضليات الأمور.

إن ذروة اليقين هي التي جعلت سيدنا موسى عليه السلام عندما قال له قومه لحظة الموقف العصيب؛ إذ البحر أمامهم وفرعون وجنوده خلفهم لحظة قولهم له: ﴿إنا لمدركون﴾، فرد عليهم رد الموقن بقدرة الله على نصرته، إذ هو الذي أوحى إليه السير ليلاً في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَّا تَخَافُ دَرْكاً وَلَا تَخْشَى﴾^(١)، رد عليهم رداً خلدته الله سبحانه في كتابه: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾^(٢). وقوة اليقين باستشعار المعية هي التي جعلت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول لصاحبه الصديق -رضي الله عنه-: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنْ اللَّهُ مَعَنَا﴾^(٣)، إذ كانا في الغار وحيدين، لو نظر العدو إلى موضع قدمه لرأهما كما يقول ذلك الصديق -رضي الله عنه- ولكن تبقى قوة اليقين المطمئن ساعة الكرب [ما ظنك باثنين الله ثالثهما]^(٤).

كذلك شدة يقين أصحاب الكهف: فقد وجهت عظمة الله وقدرته التي استحكمت على النفس بسبب تأملهم في ملكوت السموات والأرض وجهت أصحاب الكهف إلى الثبات على الحق والاعتزاز به، فأصبحت قلوبهم ثابتة راسخة مطمئنة فزادهم بذلك هدى، فهم قد ذاقوا لذة الوصول إلى الحق ومعرفة معبودهم الحق فلن يرجعوا عنه أبداً، مهما اجتاحتهم الشدائد، وكانوا متيقنين من أن الله لن يضيعهم وسيرحمهم، ففروا بدينهم إلى مكان ضيق خشن مظلم، ولكنهم مستروحون فيه رحمة الله، ويحسون أنه فسيح، بقوله جل شأنه على لسانهم: ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً﴾^(٥).

(١) سورة صه (٧٧).

(٢) سورة الشعراء، آية (٦٢).

(٣) سورة التوبة، آية (٤٠).

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، ج ٣، ص ١٣٣٧، رقم (٣٤٥٣).

مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق، ج ٤، ص ١٨٥٤، رقم الحديث (٢٣٨١).

(٥) سورة الكهف، آية (١٦).

فمن لجأ إلى ربه لن يخيبه، بل يجعل له من الرفق والراحة ما يكفيه؛ ولم يذكر الله قصة هؤلاء الفتية في قرآن يتلى إلى يوم القيامة إلا ليزداد المرء يقيناً بعظمة الله وقدرته على حماية من تقدم إليه دون سواه. فقد رأينا كيف غير الله نواميس الكون ساعة ما أراد ذلك، ليستيقن العباد القارئون لكتابه العزيز بنور البصيرة أن الكون سوف يقف مع مريدي الحق ومعتقيه؛ فالشمس المحرقة تميل عن الكهف للحيلولة دون إيدائهم، وحماهم من التراب عن طريق قلبهم كل حين، وجعل في كلبهم وفيهم مهابة من أن يمسه أحد بسوء، بالرغم من أنهم نيام وظلوا على ذلك الحال ثلاثة قرون^(١).

وما ذكر هنا من شواهد على اليقين ليس إلا لإيضاح معنى اليقين، إذ بالأمثلة يفهم المقصود، وإلا فالشواهد كثيرة، والنماذج متعددة سيتم التطرق إلى بعض منها لاحقاً.

وخلاصة القول: إن المعنى الاصطلاحي لليقين هو:

علم راسخ في القلب، زایلته الشكوك، وفارقه الاضطراب، واستحكم في النفس حتى كاد أن يكون عن مشاهدة^(٢).

والباحث إذ يبحث في تربية الله لأنبيائه على اليقين بقدره الله كما جاء في القرآن الكريم ليعني إحدى درجات اليقين السالفة الذكر عدا الأولى منها، إذ هي مترسخة من ذي قبل، فحاش أن يقال أن نبياً ما يساوره أدنى شك في قدرة الله سبحانه، وكذلك الدرجة الثانية؛ إذ التصديق بعظمة الله في قلوب أصفيائه من الخلق عليهم السلام لا يشك فيها أحد، أما الدرجة الثالثة والرابعة فهو ما سنجد لاحقاً. إذ ربي الله سبحانه أنبياءه وأوليائه كما سنرى - لبلوغ مرحلة لا يلتفتون فيها إلى الأسباب، بل إلى مرحلة تتكشف لهم بعض من أسرار المغيبات.

والمنهج التربوي الذي يقوم الباحث باستخلاصه إنما يهدف إلى تربية النفس على اليقين بقدره الله ليكون مستحكماً فيها مسيراً لها، والذي قد يضعف إلى ما هو

(١) النحلوي. معرظة القلوب (دروس ومواقف تربوية حية من القرآن والسنة)، ص ٩٣-٩٦.

(٢) الجيظالي. قناتر الخيرات، ص ٢٧٠.

دون ما ذكر من الدرجات إذا ما أهمل، وقد يقوى إلى درجة تكشف بعض المغيبات أو كأنه يرى الأشياء معاينة. فاليقين قد يساوره الضعف عند البعض، وقد يقوى عند آخرين بفضل توفيق الله تعالى لهم بحسن طاعته.

والمنهج التربوي في تربية اليقين بقدره الله يهدف إلى الوصول بالمرء إلى حالة شعورية من الخضوع والذل والافتقار للمعبود، والدهشة والإعجاب والتعلق به، وطلب خيري الدنيا والآخرة منه، والالتزام بطاعته، وهذا كله ناتج من امتزاج الخشية القلبية بجملة من مشاعر الخوف والطمع والحمد والشكر والتعظيم والإجلال والإكبار والحب^(١).

والقرآن الكريم الحكيم آياته بين أن اليقين ثلاث مراتب، يمكن توضيح معانيها والفرق بينها في المثال الذي سيتم ذكره^(٢):

المرتبة الأولى: علم اليقين، وحالته كرجل صادق عندك يخبرك أن عنده عسلاً - مثلاً -.

المرتبة الثانية: عين اليقين، وحالته كرجل صادق لا يكتفي بإخبارك أن لديه عسلاً، بل يريكه لتتظره عياناً.

المرتبة الثالثة: حق اليقين، وحالته كرجل صادق لا يكتفي بإخبارك ولا رؤيته عياناً فحسب بل يتعدى إلى أن يجعلك تتذوق العسل لتتأكد منه.

فحق اليقين هو شهود ما غاب عنك، ومعايشته.

ويرى الباحث بعد تأمله لهذه المراتب الثلاث والدرجات الأربع، يرى أن المرتبة الأولى تجمع التعريفين الأول والثاني. إذ أن جل من تكلم في علم اليقين يرى أن هذا العلم اليقيني إن وجد حقاً في القلب وتشربته حناياه، فلا بد أن يندفع إلى ترجمته على أرض الواقع من خلال الطاعة والالتزام. يقول صاحب كتاب (مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب)^(٣) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ

(١) الميداني، ابتلاء الإرادة، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) الدوماني، الوصول إلى اليقين (دراسة في فكر العالم بديع الزمان سعيد النورسي)، ص ١٨.

(٣) الغزالي، مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب [مختصر من كتاب المكاشفة الكبرى للغزالي]، ص ١٧٤.

عِلْمَ الْيَقِينِ»^(١): (لو تعلمون أمر القيامة باليقين لأهاكم عن ذلك، أي عن التكاثر والتفاخر، ولفعلتم ما ينفعكم، ويقال حقاً لو تعلمون علم اليقين كما يعلمه الرسل بأن المال والتفاخر لا ينفع يوم الحساب لما افتخرتم به وبكثرة العدد).

والباحث لا يرى حرجاً لتبسيط الأمر وتفصيله من جعل التعريف الأول كدرجة تمهيد رئيس لدرجة التعريف الثاني إذا الملاحظ أن كثيراً من الناس لا تشك في أي أمر عقدي من حيث صحته وثبوته؛ كعظمة الله مثلاً؛ ولكن هل استحكم هذا الأمر على النفس ووجهها؟ ولذلك لا مناص من جعله كدرجة تمهيدية - أي عدم الشك - لما بعدها من درجات التعريفات لليقين الأخرى.

ومن الآيات القرآنية الكريمة التي ورد فيها لفظ اليقين السدال على القطع والجزم ورجحان القلب دون مساورة أي شك ولا ريب، الآتي:

- يقول الله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٢)
- وقوله سبحانه: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾^(٣) وكان هذا القول على لسان الهدد لسيدنا سليمان عليه السلام، والخبر اليقيني الذي جاء ليخبره به هو رؤيته عياناً لمملكة تعبد الشمس وتحكمها امرأة
- وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾^(٤)
- وقوله جل وعلا: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^(٥)
- وقوله سبحانه على لسان المجرمين وهم في جهنم - والعياذ بالله - نادمين: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾^(٦)

(١) سورة التكاثر، الآية (٥).

(٢) سورة المائدة، الآية (٥٠).

(٣) سورة النمل، الآية (٢٢).

(٤) سورة النمل، الآية (٨٢).

(٥) سورة الروم، الآية (٦٠).

(٦) سورة السجدة، الآية (١٢).

- وقوله سبحانه: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(١)
- وقوله جل وعلا: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

ثانياً: أهمية اليقين

إن اليقين بقدرة الله وعظمته هو سر الارتقاء الروحي الذي لا يصل إليه إلا الموفقون من عباده، وهو مطلب كل عاقل، ولكن تبقى الهمة والعزيمة والمجاهدة النفسية التي لا يقوم بها إلا من فهم ووعى حقيقته، ورسخ ذلك الأمر في قلبه فضحي وكابد لبلوغ هذا المقصد العالي.

واليقين بالله حتى يرسخ في القلب إنما يعني أنه لا بد من تفريغ القلب من أي شك وربب ونفي كل ما سوى عظمة الله سبحانه، ليخلو القلب من كل الشوائب التي تحول دون رسوخ اليقين الذي يغرس ويثبت بعد النفي والتخلي، وسبيل تمكن القلب من كل ذلك هو مقصد الباحث في الفصل الثالث بحول الله سبحانه.

هذا وإن لليقين أهمية قصوى إذ به تتغير حياة المرء، وتكمن هذه الأهمية في الآتي:

أولاً: يدفع اليقين صاحبه إلى أن يرى الأشياء على حقيقتها:

إن الصفاء الروحي الذي يتميز به المتقون يجعل الإنسان ينزل كل شيء منزلته؛ فصاحب اليقين بالله ينزل المخلوق منزلته، فلا يعظم بشراً مثله تعظيماً يجعل منه هو الدليل المهين، فيطيعه ولو في معصية الله، بل تجعل منه إنساناً عزيزاً مستعلياً بما أكرمه الله من قدر، لا يطأطئ رأسه تذلاً لمخلوق مثله مهما كان شأنه، حيث تولد في قلب المتيقن أن الله هو كل شيء في هذا الوجود، وما عداه مفتقر إليه مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٣).

كذلك رسوخ اليقين هذا ينزل أي مخلوق منزلته من حيث كونه ضعيفاً لا حول له ولا قوة، إذ كل شيء بيد الله، جاعلاً في قرارة نفسه أن عظمة الله فوق

(١) سورة الحانية، الآية (٤).

(٢) سورة نذريات، الآية (٢٠).

(٣) سورة فاطر، الآية (١٥).

عظمة كل عظيم، وأن ناصية كل مخلوق بيد الله؛ فكما أن الله قد ذلل الجمل للإنسان فهو القادر أن يذل كل مفترس ليكون -عند صاحب اليقين- وديعاً، وما ذلك على الله بعزيز. فالله سبحانه هو من جعل من النار الحامية المحرقة برداً وسلاماً وأمناً على سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهو سبحانه من جعل الحوت المفترس سفينة نقل لسيدنا يونس عليه السلام، وهو سبحانه من جعل العصا حية تسعى تلتهم كل ما ألقاه سحرة فرعون، وهو سبحانه من أخرج حيواناً ذا روح من جبل صلدم أصم وهو ناقة صالح عليه السلام، وهو سبحانه جلت قدرته من جعل البحر وسيلة نجاة، إذ انشق لسيدنا موسى عليه السلام وقومه، ووسيلة قتل وهلاك لفرعون وقومه.

كذلك أيضاً المتيقن بقدرة الله ينزل الأسباب منزلتها، فلا يعظم شأنها، وإنما يعظم المسبب جل وعلا. فوجود خاصية العلاج في الدواء لا تجعله ينظر إلى أن الشافي هو الدواء أو الطبيب، بل الشافي هو الله سبحانه، جعل الدواء سبباً إذ جعل فيه خاصية ينتفع بها المريض، قادر سبحانه أن يسلب منه تلك الخاصية.

ثانياً: اليقين بالله طريق إلى الإحسان:

عندما تجري مشاعر اليقين هذه في عروق الإنسان وأحاسيسه، فإن المرء يصل بها إلى الدرجة القصوى من الإيمان وهي درجة الإحسان.

فمن كان لله أعرف كان له أخوف؛ والإحسان في حقيقته ثمرة الاستشعار الدائم لله سبحانه والمراقبة المستمرة له بالقلب، وهو الذي عبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال صلى الله عليه وسلم: [الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك]^(١)، وهذا تعبير منه صلوات الله وسلامه عليه لا يقتصر على شخص يصف قدميه في الصلاة، أو يلجج لسانه بالذكر فحسب، بل هو وصف للإنسان لأن يقيم أوامر الله كلها، في شؤون الحياة كافة؛ فمجال الإحسان رحب الدائرة، حدوده وظيفة الإنسان في الحياة من المهد إلى اللحد^(٢). وهي مرتبة تتناول شؤون الدنيا وشؤون الآخرة معاً.

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، ج ١، ص ٣٦، رقم الحديث (٨).

(٢) الفغزالي، الحجاب العائني من الإسلام، ص ٨١، ٨٢.

فما إن يشرق معنى الاستشعار بمراقبة الله تعالى في ذهن المرء وهو يكدح في هذه الحياة، حتى يحس بالأنس بخالقه، فيستمر مجتهداً إذ علم أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، مهما كانت المحنة والمشقة التي يواجهها في سبيل إنجاز ذلك العمل المشروع، إذ هو مستحضرٌ في ذهنه قاعدة لا تخلف، وقانوناً لا يحرف، فهو وعد الله تعالى لعباده ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، فهو العدل الإلهي الذي لا يخلف، قالها يوسف عليه السلام لإخوته، متذكراً منة الله عليه^(٢)، كما يقولها لسان حال كل موفق للاستقامة إذا ما نال خيراً في هذه الحياة. فهو إحسان المرء على نفسه بالطاعة المطلقة، والاستسلام التام، والانقياد الكامل لأوامر الله سبحانه، الذي خلقه، والذي يعلم ما يسره ويضره، فحق له بعد أن روض نفسه ووظفها على الإحسان أن ينال ما وعده الله به من إحسان^(٣).

يقول سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٤).

والمرء المتيقن بالله سبحانه وهو يشق طريقه لبلوغ درجة الإحسان، لا يأمل أن تتخلى عن نفسه الأوصاف المذمومة حتى وإن بلغ درجة الإحسان، لأن هذا يخالف طبيعة النفس وصفاتها وخصائصها التي خلقها الله عليها، وإن كل ما سيحدث إذا ما اجتهد في ذلك - هو غلبة صفات الخير، وضبط صفات الشر وتوجيهها بما يرضى الله سبحانه وبذلك يتم تطهير النفس من نزعات الشر والإثم وتخليها عن الأخلاق المذمومة وتحليها بالأوصاف المحمودة في شتى شؤون الحياة^(٥)، تطهيرها بتحويل الصفات المذمومة إلى ما هو محمود. فصفة الكراهية ستسخر في كره من عادى الله ورسوله وحاربه، وصفة الحقد ستوجه ضد الحاقدين على الإسلام وأهله، وصفة الغضب ستوجه ضد من انتهك حرمان الله.

فهذه الصفات وأمثالها طاقات فاعله في النفس الإنسانية لا ينبغي تجاهلها والتقليل من شأنها إذ بدونها لن تستمر الحياة؛ فالخوف ممقوت إن وجهه في الخوف

(١) سورة يوسف. الآية (٩٠).

(٢) قطب، في ظلال القرآن، تفسير الآية (٩٠) من سورة يوسف.

(٣) قطب، في ظلال القرآن، تفسير الآية (٦٠) من سورة الرحمن.

(٤) سورة الرحمن. الآية (٦٠).

(٥) كرزون. منهج الإسلام في تركية النفس، ج ١، ص ١٢.

من المخلوق، وهو محمود إن وجهه في الخوف من الخالق: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾^(١) هذا فضلاً عن أن طاقات الخير ينبغي أن تكون مفرغة في كل ما شرعه الله سبحانه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، كطاقة الحب مثلاً مفرغة في كل ما يرضاه الله سبحانه، فلا تزل به القدم بأن يحب ما يبغض سبحانه وقد وصف الله سبحانه المؤمنين الصادقين بذلك، حيث قال سبحانه معلياً شأنهم ومنوهاً بهم: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

فظاهر الآية يشير إلى أنه لا يجتمع في قلب امرء ودان: ود الله ورسوله وود الأعداء! فإما إيمان أو لا إيمان، أما معاً فلا يجتمعان. فهذه الآية تعالج بعض ما يلج في النفوس، وتضع ميزان الإيمان بهذا الحسم الجازم، والمفاضلة القاطعة^(٣).

وكذا الطاقات المتمثلة في الشهوات النفسية فإنما خلقت لفائدة ضرورية في الجبلة، يقول صاحب مختصر منهاج القاصدين: (ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان، أو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل، ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه، وقد قال الله سبحانه في وصف المؤمنين من الصحابة: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩] ولا تصدر الشدة إلا عن الغضب، ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار، قال سبحانه: ﴿وَالْكَاطِبِينَ الْأَعْتَابِ﴾ [آل عمران: ١٣٤] ولم يقل: الفاقدين الغيظ. فاعتقاد قمع هذه الصفات بالكلية اعتقاد خاطئ^(٤)؛ فالمذموم فضول الشهوات وطغيانها، فمن الخطأ ترك كل ما تشتهيه النفس، والمطالب بذلك مطالب بإسقاط حقها، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: [إن لنفسك عليك حقاً]^(٥).

(١) سورة التوبة، الآية (٣).

(٢) سورة المجادلة، الآية (٢٢).

(٣) قطب، في ظلال القرآن، تفسير الآية (٢٢) من سورة المجادلة.

(٤) ابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين، ص ١٥٧.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أعيده الفطر في التطوع، ج ٢، ص ٦٩٤، رقم الحديث

(١٨٦٧).

مسلم، صحيح مسلم، باب النهي عن صوم الدهر، ج ٢، ص ٨١٣، رقم ١١٥٩.

فمن يمنعون النفس عن المباحات ظناً منهم أن هذا هو الزهد المراد المتوصل به إلى درجة الإحسان إنما يفعلون ذلك لقلّة العلم^(١). ومما ينبغي تذكره أن اليقين من الإيمان يعد في منزلة الروح من الجسد، فبه تفاضل العارفون وفيه تتنافس المتنافسون وإليه شمر العاملون، فهو -أي اليقين- روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح^(٢). واليقين خير ما يعطى المرء ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحث الناس بأن يسألوه خالقهم، ففي حديث جاء من طريق سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: [سلوا الله اليقين والعافية، فإن الناس لم يعطوا شيئاً خيراً من اليقين والعافية]^(٣).

ثالثاً: اليقين بالله سبحانه طريق لنيل السعادة في الدنيا:

إن أهل اليقين تكشفت لهم حقيقة الحياة الدنيا من خلال شفافية الروح وصفاء السريرة التي يتمتعون بها، ولذلك فهم أبعد الناس تأثراً بتقلباتها، مستوٍ عندهم حلوها ومرها، وقد وصف ابن جوزي عيشة هذا الصنف من الناس فقال: (ليس في الدنيا ولا في الآخرة أطيب عيشة من العارفين بالله عز وجل، فإن العارف به مستأنس به في خلوته، فإن عمت نعمة علم من أهداها، وإن مر مرّاً حلاً مذاقه في فيه لمعرفته بالمبتلي، وإن سأل فتعوق مقصوده، صار مراده ما جرى به القدر علماً منه بالمصلحة بعد يقينه بالحكمة وثقته بحسن التدبير) ثم تطرق إلى وصفه والعامل الذي أدى به إلى هذا الحال فقال: (وصفة العارف أن قلبه مراقب لمعروف الله، قائم بين يديه، ناظر بعين اليقين إليه، قد سرى من بركة معرفته إلى الجوارح ما هذبها، إذا تسلط عليه أذى أعرض نظره عن السبب ولم ير سوى المسبب فهو في أطيب عيش معه، إن سكت تفكر في إقامة حقه، وإن نطق تكلم بما يرضيه.. فهذا الذي لا هم عليه في الدنيا ولا غم عنده وقت الرحيل عنها..)^(٤). فمن كانت هذه صفاته لا شك أنه سيكون سعيداً في هذه الحياة، فهو متصف بصفات المؤمن الحق الموصوف في الحديث الشريف: [عجباً لأمر المؤمن كله له خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن

(١) ابن قيم الجوزية، منهاج القاصدين، ص ٢٠٠.

(٢) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج ٢، ص ٤١٣.

(٣) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٧، رقم الحديث (٥).

؛ النسائي، السنن الكبرى، ج ٦، ص ٢٢٠، رقم الحديث (١٠٧١٨).

(٤) ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص ١٣٨.

أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له^(١).

إن اليقين يعد طريقاً لنيل السعادة في الحياة الدنيا، كون اليقين يدفع صاحبه إلى فهم حقيقة هذه الحياة فلا يندفع وراءها. فهو يعلم أنه لم يعيش لذات الدنيا، لذلك فهو محتسب كل ما يصيبه فيها لله، فهو يفرح إذا ازداد بلاؤه لعلمه أن أكثر الناس بلاء هم الأنبياء ثم الذين يلونهم، فهو لا يزن الأمور في هذه الحياة إلا بمقياس الآخرة، فالآخرة عنده هي الشريفة وهي مقصد الخلق، وما الدنيا إلا ممر ومعبر إليها، والعمل من أجل الآخرة عين الحكمة والصواب.

ففكره لا يجول في أمر من أمور الدنيا، إلا ويذكر به أمور الآخرة، لأن الغالب عليه أمر الآخرة، وكل إناء ينضح بما فيه، فلو رأى ظلمة تذكر ظلمة القبر، وإن سمع صوتاً هائلاً تذكر نفخة الصور، وإن رأى نعيماً ذكر نعيم الجنة، وإن رأى عذاباً تذكر النار^(٢).

إن المتيقن بالله سبحانه وجلّ عند انفتاح الدنيا عليه، خائفٌ أن تفتته وتغريه بهارج تلك الحياة وزخارفها، ولذلك فلسانه لا يفتر عن قول ما كان يقوله المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم: [اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة]^(٣)، يكون خائفاً وجلاً من أن يكون هذا البسط والرغد والانفتاح استدراجاً، كما ذكر سبحانه في استدراجه للكفار والمخالفين: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٤).

وقوله سبحانه مخاطباً نبيه عن حال الكفار: ﴿لَا يَغْرُنَكُ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾^(٥). إذ يخشى المتيقن أن يكون هذا الانفتاح هو تعجيل للمثوبة فيكون ممن يقال لهم في الآخرة: ﴿أَذْمَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ..﴾^(٦).

(١) مسند صحيح مسلم، باب المؤمن أمره كنهه خير، ج ٤، ص ٢٢٩٥، رقم الحديث (٢٩٩٩).

(٢) ابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين، ص ٣١.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب السير والغزوات، باب غزوة الخندق، ط ٤، ص ١٥٠٤، رقم الحديث (٢٨٧١)؛

مسند صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، ج ٣، ص ١٤٣١، رقم الحديث (١٨٠٤).

(٤) سورة آل عمران، آية (١٧٨).

(٥) سورة آل عمران، آية (١٩٦، ١٩٧).

(٦) سورة الأحقاف، آية (٢٠).

إن اليقين يعد طريقاً إلى السعادة إذ يضبط مسار المرء في الحياة، فيمنحه اليقين والثقة والثبات وعدم الازدواجية، فهو يتميز بالنقاء في السر والعلانية، والقول والفعل، وهو كصفحة واحدة يستوى في نصابها ما لله وما للناس، فهو ليس ممن يتصرف في الظلام كيف يشاء، فهو صاحب القلب العظيم الذي يستمد عظمته من رقيبته والتزامه لوصايا الإسلام الحنيف^(١). والازدواجية مما لا شك فيها عامل مكرر للصفو، منغص للبال، وهو مرض نفسي لا يقل شأنًا عن مرض البدن، يؤدي عادة إلى انفصام في الشخصية، وتيه وتخبط في الحياة.

فهو مشتاق إلى الجنة مسارع إلى الخيرات الكفيلة بإسعاده في هذه الحياة مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢)، خائف من النار ينهي نفسه عن الشهوات، وتيقن الموت فهانت عليه اللذات، وكل تلك الخصال تعد قوام الحياة السعيدة.

واليقين طريق إلى السعادة من خلال شغل صاحب اليقين بعيوب نفسه فيكون غير مهتم إلا بكيفية إصلاحها، ينظر إلى النازلة والمصيبة والأذى الذي قد يحل به إلى أنه منبه وإنذار لتدارك خلل ما قد ارتكبه، فالمصائب يراها كالألم الذي يوقظ المرء بعاهة ما ليتدارك علاجه قبل استفحاله في الجسد، تيقناً منه أن المصائب قد تكون بسبب ذنب قد ارتكبه، مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ..﴾^(٣) وقوله سبحانه: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ..﴾^(٤). فتراه مجاهداً بالبحث عن عيوبه لمعالجتها، فهو غير عياب للآخرين؛ فيصون لسانه عن الغيبة والنميمة وما شابههما، مما يعني أنه سيعيش محبوباً بين الناس، فتكون رؤية الناس له تذكيراً للآخرين بالله سبحانه قولاً وسلوكاً. (وقد لقي بعض السلف رجلاً فأغلظ له القول ونال منه، فقال له: قف حتى أدخل

(١) الغزالي، علل وأدوية، ص ٣٠.

(٢) سورة النحل، آية (٩٧).

(٣) سورة الشورى، آية (٣٠).

(٤) سورة آل عمران، الآية (١٦٥).

البيت ثم أخرج إليك، فدخل فسجد لله وتضرع إليه وتاب وأناب إلى ربه، ثم خرج إليه فقال: ما صنعت؟ فقال: تبت إلى الله من الذنب الذي سلك به علي^(١).

وصاحب اليقين يرى السعادة حتى في الألم فهو يتلذذ به ابتغاء الأجر والثواب، ورغبة في أن يكون طهارة وكفارة له، يعيش دوماً في كنف الله، فربه مائل دوماً في ذهنه، وحاضر في خاطره، يراقبه في جميع أحواله وتصرفاته، ولذا فخشيته منه شديدة، فهو يحاسب نفسه وجوارحه على كل عمل يقوم به، وكل كلمة ينقوه بها، وكل خاطرة تراود فكره؛ يقول سبحانه: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ..﴾^(٢)، أي أنهم مثبتة قلوبهم، فلا زوال ولا انطماس ولا غموض، فهم قد باعوا أنفسهم لله رخيصة في سبيل الله، فأشرفت قلوبهم نوراً وأفندتهم حياة، وذلك كله بروح الإيمان وقوة اليقين^(٣). علموا أن الحياة ابتلاء، والابتلاء يقضي وضع عقبات للمحن، ومن أهم العقبات وضع زينات تشتتها النفوس، ليكون الامتحان كاشفاً، والذي نتجه إرادته لتحقيق المطلوب في الامتحان فهو الذي يحقق السعادة والنجاح، ويستحق الجزاء بالثواب العظيم، وهذا ما كان عليه الصالحون من الأولين ومن تبعهم بإحسان، أما الذي نتجه إرادته لتحقيق مطلوب نفسه وهواه، لا يكثر للمطلوب منه في الامتحان، فيسقط خائباً خاسراً ويستحق الجزاء بالعقاب وإرادة الله في كلا الأمرين قد تحققت كاملة^(٤).

ويعد اليقين طريقاً لنيل السعادة إذ يدفع بصاحبه إلى الأنس بمعية الله، فهو على يقين تام أن الله متى لجأ إليه وجدده، فيسعد بذلك ولا يفكر في بديل، فعندما يدعو ويتضرع إليه يشعر باستجابة الله له، بحكم استجابته ابتداءً لأمر من دعاه - سبحانه وتعالى - كما في الحديث الوارد عنه صلوات الله وسلامه عليه: [من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر من الدعاء في الرخاء]^(٥)، واليقين يعد طريقاً لنيل السعادة كون اليقين أهم عوامل التمكين والاستخلاف في الأرض

(١) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ج ١، ص ٤٨٥.

(٢) المحادلة، الآية (٢٢).

(٣) عميرة، منهاج القرآن في تربية الرجال، ص ٧٩.

(٤) السيداني، ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة، ص ٤٩.

(٥) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، ج ٥، ص ٤٦٢ رقم الحديث (٣٣٨٢).

الذي به تستقر الحياة وتزدهر المعيشة، يقول جل شأنه ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(١).

المطلب الثالث: التوكل (والذي يعد ثمرة من ثمرات اليقين) وعلاقته بالأسباب

التوكل على الله سبحانه ثمرة من ثمرات اليقين التام بقدرته سبحانه، ونتيجة من نتائجه في هذه الحياة، مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾^(٢) والحق هنا أي اليقين^(٣) ولذلك قد يُظن أن المتوكل على الله سبحانه لا يعبأ بالأسباب ولا يأخذ بها قطعاً إذ هو متوكل عليه سبحانه - كما وقع في ذلك بعض من لم يفهموا الإيمان حق الفهم - والحقيقة غير ذلك يقول صاحب مدارج السالكين: (ولا تظن أن التوكل هو رفض الأسباب، وردّها كلية، وإنما هو عبارة عن العلم بأن الأسباب أمور ينبغي رعايتها ومداراتها، أما التشبث بها، والأخذ بها - أي الاعتماد عليها - فهو نوع من الدعاء الفعلي، في حين أن طلب المسببات، وترقب النتائج لا يكون إلا من الحق سبحانه وتعالى، وأن المنة والحمد والشاء لا ترجع إلا إليه وحده)^(٤).

فالتوكل على الله حقاً لن يركن إلى الأسباب وإن أخذ بها؛ ولن يتخلى عنها، ولو تعلق قلبه بربه، فالقرآن الكريم يأمر في كثير من آياته بالأخذ بالأسباب ورعايتها، منها قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا تَابًا أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا...﴾^(٥)، وقوله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٦).

فالتوكل على الله يقصد به طاعة الله بإحضار كافة الأسباب المطلوبة، لأي عمل من الأعمال التي يريد الإنسان مزاولتها والدخول فيها، فلا يطمع في ثمرة بدون أن يقدم أسبابها، ولا يرجو نتيجة بدون أن يضع مقدماتها، غير أن ثمار تلك الأسباب، ونتائج المقدمات يفوضه إلى الله سبحانه، إذ هو القادر عليه دون سواه،

(١) السجدة، آية ٢٤.

(٢) سورة النمل، الآية ٧٩.

(٣) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج ٢، ص ٣٩٧.

(٤) المصدر السابق، ص ١٢٥.

(٥) سورة النساء، الآية (٧١).

(٦) سورة الأنفال، الآية (٦٠).

فالتوكل عند المسلم عمل وأمل، مع هدوء قلب، وطمأنينة نفس، واعتقاد جازم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وهو يؤمن بسنن الله في الكون فيعد للأعمال أسبابها المطلوبة، ويستفرغ الجهد في إحضارها وبإكمالها، لا يعتقد أبداً أن الأسباب وحدها كفيلة بتحقيق الأغراض، وإنجاح المساعي، لا، بل يرى أن الأسباب ليست إلا إجراءً عملياً أمرنا الله القيام به يجب تنفيذه، أما النتائج فقد وكل أمرها إلى الله^(١).

فالسُنن التي تحكم الكون والأسباب ليست قطعية النتائج، ولو كان كذلك لأدى إلى تأليه السنن، ولما بقي هناك حاجة للإيمان بعد الانضباط مع منطق السنن، والإنسلاك بخط سيرها، ذلك أن الوصول إلى الأهداف والنتائج يصير أمراً حتمياً، ولكن لا بد من تعاطي الأسباب واتقانها وحسن التعامل مع السنن التي تحقق النفع، إلى جانب ضرورة الاستعانة بالله خالق هذه السنن لأنها قد تتعطل فلا تؤدي نتائجها لأمر يريده الله، وحكمة تغييب عن الإنسان^(٢).

فالتوكل استفاد الأسباب التي تمدها يد الله، فإذا تم استنفادها على المرء أن لا ييأس، لأن له ربا ذا ركن شديد، ترجع إليه كل الأمور، فالتوكل أن تعمل الجوارح وتتوكل القلوب^(٣).

إن الاعتماد على الأسباب وحدها واعتبارها كل شيء في تحقيق المطلوب كفر وشرك، وإن ترك الأسباب المطلوبة لأي عمل وإهمالها وهو قادر على إعدادها وإيجادها فسق ومعصية، يجرمها الله، ويُستغفر الله تعالى منهما.

والرسول صلى الله عليه وسلم كان لا ينكر الأسباب، ولكن في نفس الوقت إذا ما أخذ بها لا يعتمد عليها، وإن من أهم الأسباب عند المؤمن إطراره بين يدي الله وتقويضه أمره إليه في ثقة واطمئنان^(٤). ومما يجدر ذكره أن الذي يتفاعل مع

(١) الجزائر. منهاج المسلم، ص ١٤٩.

(٢) كتاب الأمة، العدد ١١، ص ٤، فطر، السنة الأولى ذو القعدة ١٤٠١، سبتمبر ١٩٨١.

(٣) الشعراوي، تفسير الشعراوي، المجلد التاسع، تفسير قوله سبحانه: ((قل حسبي الله عليه توكلت...)) التوبة، الآية (١٢٩).

(٤) الجزائر. منهاج المسلم، ص ١٥٠.

الأسباب عادة ما تعطيه تلك الأسباب التي اعتمد عليها، ولكن يبقى حال قلبه وقت تعامله بالأسباب، فإن كان في بآله عند تفاعله مع الأسباب الخالق المسبب لهذه الأسباب أخذ حظين: حظ استجابة الأسباب له في دنياه، وحظ إنعام المنعم سبحانه عليه بالثواب في أخراه، جزاء استحضار المسبب والتوكل عليه^(١).

وثمة أمر هام يتعلق بالتوكل وهو أمر الاعتماد على النفس، فالاعتماد على النفس لا يقصد به عدم التوكل ولا عدم اليقين بالله، بل يقصد به عدم إظهار المسلم افتقاره إلى أحد غير الله، ولا يبدي احتياجه إلى غير مولاه، فإذا أمكنه أن يقوم بنفسه على عمله، فإنه لا يسندده إلى غيره، وإذا تأتي له أن يسد حاجته بنفسه فلا يطلب معونة غيره، ولا مساعدة أحد سوى الله وحده، لما في ذلك من تعلق القلب بغير الله، وهو ما لا يحبه المسلم ولا يرضاه^(٢). والصحابة رضوان الله عليهم تعلموا ذلك وقد كان أحدهم إذا سقط سوط من يده وهو راكب على فرسه ينزل إلى الأرض ليتناوله بنفسه ولا يطلب من أحد أن يناوله إياه مستعيناً بالله أن يمنحه القوة على ذلك.

يقول القرضاوي في التوكل: (فالتوكل ليس معناه إطراح الأسباب وإهمال السنن، وانتظار بغير زرع، أو نمو الزرع بغير تعهد، بل التوكل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والرسول من قبله: بذل كل ما في الوسع، وترك النتائج لله ثقة به، ويقيناً بوعدته، وإيماناً بنصره.

إن الرسول الكريم محمداً صلى الله عليه وسلم قد رتب لهجرتة كل ما استطاع ترتيبه، ولكن المشركين أمكنهم الوصول إلى الغار الذي لجأ إليه، فقال أبو بكر: لو نظر أحدهم إلى قدميه لرأنا: فقال صلى الله عليه وسلم: [ما ظنك يا أبا بكر نالهما]^(٣) ﴿لَا تَحْزَنَ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. (التوبة: ٤٠)^(٤).

(١) الشعراوي، دروس في الدعوة والمنهج، ص ١٦.

(٢) الجزائري، منهاج المسلم، ص ١٥١.

(٣) تحريج سابق ص ١٣.

(٤) القرضاوي، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، ص ٨٠.

الناس مطالبون بالاعتماد على الله قبل وقت التفكير في نوعية الأسباب المستخدمة، لأن يلهمهم الله أفضل الأسباب ويعينهم على الإتمام والإكمال. والاعتماد عليه وقت استخدامهم الأسباب موقنين في قرارة أنفسهم أنها لو لم تكن تحت رعاية القدرة الإلهية لعطلت، وبعد استخدامهم للأسباب بشكره على إتمامه التوفيق والنجاح، إخضاعاً للنفس أن ما تم من نجاح لتلك الأسباب إنما هو بمنّ من الله وفضل.

إن انتظام الأسباب وتأديها إلى نتائجها ليس ملكاً للإنسان، ولكنه ملك الله، ومن هنا يأتي اعتقاده على ما يلحج به لسانه دائماً في كلمة (لا حول ولا قوة إلا بالله) التي هي من شارات الإيمان^(١).

(١) الغزالي. مع الله (دراسات في الدعوة والدعاة)، ص ٣٣.

المبحث الثاني: أهمية دراسة حياة الأنبياء والأولياء الصالحين؛ ومعنى تربية اليقين فيهم.

المطلب الأول: أهمية دراسة حياة الأنبياء والأولياء الصالحين

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم صفوة البشر وسادتهم، فهم اتقى الناس قلباً، وأنفاهم سريرة، بعثوا -اصطفاء من الله- لإنقاذ الناس مما قد وصلوا فيه من دنس الرذيلة، والأخذ بأيديهم إلى كل خير وفضيلة.

والخصال التي تميزوا بها عن البشر لكونهم أهل صبر فريد، وخوف من الله شديد، لا يخرجهم عن كونهم بشراً، يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، وقد قالوا ذلك صراحة عند مجادلتهم لأقوامهم المتعنتين، يقول الله سبحانه في ذلك: ﴿قَالَتْ لَيْسَ رُسُلُهُمْ إِلَّا نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١)، وقد ذكر الله سبحانه قول الكفار المعيبين على النبي بشريته: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾^(٢)، ورب العزة والجلال يرد على ازدرائهم هذا بقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾^(٣). فلو كان النبي المرسل ملكاً لاحتجت الأقوام بعدم استطاعتها اتباع ما يأمر، إذ هو فوق طاقتهم البشرية كما سيدعون^(٤)، كما أنه لم يكن هناك مجال للاقتداء بهم ولا التأسى بأحوالهم.

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أناس اصطفاهم الله واختصهم لرسالته لإعدادهم المسبق لهداية قومهم، وهذا الاصطفاء إكرام من الله لهم وامتنان، يقول سبحانه: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٥)، وقال سبحانه لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ

(١) سورة إبراهيم، الآية (١١).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٩٤).

(٣) سورة الإسراء، الآية (٩٥).

(٤) الشعراوي، تفسير قوله سبحانه: ((لقد من الله على المؤمنين...)) (الآية (١٦٤) سورة عمران).

(٥) سورة الحج، الآية (٧٥).

وَاجِدٌ...»^(١). والباحث في هذا المبحث ليس بصدد عد مناقبهم، وذكر صفاتهم الجليلة، فهي أكثر من أن تكتب، وأعظم من أن تحدد. ولكن وبإجمال يمكن تحديد أهمية دراسة حياتهم وحياة من سار على نهجهم من الأولياء الصالحين، كونهم عبرة لأولى الألباب، وكون ذكرهم، وبيان قصصهم سراجاً لمن أراد الهداية والتوفيق وأسوة وقدوة ومثلاً أعلى، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك في قوله: «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»^(٢)، وذكر سبحانه ذلك بعد ذكر الأنبياء عليهم السلام، ذكر ذلك مخبراً النبي بالسيرة على نهجهم وهو إخبار لأمته: «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَايَتِهِمْ آفَقْتُمْ...»^(٣).

ومن الآيات الواردة في الأمر بالاهتداء بهدى الأنبياء، ما شرعه الله عز وجل في سورة الفاتحة في كل صلاة أن ندعوه سبحانه بأن يهدينا صراطهم المستقيم، وذلك في قوله سبحانه: «..اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ...»، وأول من يدخل في وصف المنعم عليهم هم أنبياء الله تعالى وأتباعهم؛ وذلك لقوله تعالى بعد أن ذكر جملة من الأنبياء الكرام في سورة مريم: «أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا»^(٤).

فهم عليهم الصلاة والسلام عبرة وعظة في صبرهم وثباتهم على الحق، وفي حياتهم التعزية والدافعية لمن سلك طريقهم وابتلى بما ابتلوا هم به.

وفي هذا المبحث سيتطرق الباحث إلى جانب من جوانب الاقتداء -كون قصصهم عبرة، وطريقهم منهجاً وهو جانب تربية الله لهم على اليقين بقدرته سبحانه موضوع البحث والذي سيتطرق الباحث إليه بشيء من التفصيل في الفصول القادمة، مستخلصاً المنهج المتبع في ذلك من واقع النص القرآني الكريم- فكما هو معلوم أن خير منهج يسير عليه المؤمن منهج القرآن الكريم.

(١) سورة الكهف، الآية (١١٠).

(٢) سورة يوسف، الآية (١١١).

(٣) سورة الأنعام، الآية (٩٠).

(٤) سورة مريم، الآية (٥٨).

المطلب الثاني: الأنبياء - عليهم السلام - ومعنى تربية اليقين فيهم:

إن المؤمن حق الإيمان ليعتقد في قرارة نفسه أن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام معصومون من أي خطأ قادح، إذ أنهم المصطفون الأخيار، فهم الذين قرن الله سبحانه سلامه عليهم وحمده لنفسه.

في قوله سبحانه: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾^(١)، وبين تسبيحه لنفسه وسلامه عليهم في قوله سبحانه: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾^(٢)، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن الأنبياء والمرسلين سالمون من كل ما يقوله المكذوبون لهم والمخالفون، وأن كل ما جاءوا به سالم من كل باطل، وأنهم سالمون من كل عيب ونقص وكذب^(٣).

وما الذنوب التي أخبر الله سبحانه عنها بوقوعها من قبلهم، والتي عاتبهم عليها، وقد أخبروا بها عن أنفسهم، وأشفقوا منها وتابوا، إلا على جهة النسيان واختيار ما غلب على الظن صوابه، كما أنها لم تخل بمناصبهم ولم تقدح في رتبهم^(٤)، إذ أنها لم تتعد كونها أمراً دنيوياً وليس أخروياً^(٥). كذلك لو سلمنا وحملنا الآيات على ظاهرها من حيث إنهم أخطأوا خطأ صريحاً لا ينبغي حمله على خلافه خشية التدخل في النص الصريح في القرآن^(٦)، فإنه من محاسن ما قيل هروباً من الإشكال إن من لوازم العصمة أن الله عز وجل لا يقر النبي على الخطأ بل ينهيه إلى ذلك ويدله إلى الصواب والحق، فيندارك الخطأ في وقته وفيء من ذلك بأسرع وقت، ويكون حاله بعد التوبة أكمل من حاله قبل وقوعه في الذنب، إضافة إلى أن العصمة الكاملة المطلقة تكمن فيما يبلغون الناس من العقائد والأحكام، والتي هي وحي من الله سبحانه^(٧).

(١) سورة نسر. الآية (٥٩).

(٢) سورة تصافات. الآيات (١٨٠-١٨١).

(٣) الجوزية. بدائع الفوائد، ج ١، ص ٤١١.

(٤) الصابوني. النبوة والأنبياء، ص ٥٥.

(٥) الخليلي. جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل، ج ٣، ص ١٢٧.

(٦) ابن تيمية. مجموع فتاوى. ج ١٥، ص ١٥٠.

(٧) الخليلي. وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، ج ٣، ص ٣٢.

وما وقع فيه الأنبياء عليهم السلام من هفوات نادرة -لا تطعن فيهم لعلو فطرتهم، وصفاء نفوسهم- لهو إثبات صريح لبشريتهم أمام الخلائق لئلا يرفعوهم فوق المستوى البشري، ويحملوهم من صفات الألوهية ما لا يمكن أن يتصفوا به. فهم عبيد مخلوقون ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(١).

كما أن الذي حدث منهم وأخبرنا الله به ليحتمل أن يكون قبل النبوة وأراد الله سبحانه أن يظهر لنا الفرق بين أحوالهم قبل النبوة وأحوالهم بعدها^(٢).

وخروجاً من إشكال يطول الحديث فيه، أطنب أهل العلم فيه في كتبهم قديماً وحديثاً، وحق للأمر أن يأخذ ذلك المأخذ إذ أنهم بين أمرين كلاهما من الدين، بين النصوص القرآنية الصريحة بوقوع الخطأ منهم كقوله سبحانه: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (سورة طه، الآية ١٢١)، وبين ما ينبغي أن يعتقده المرء في الأنبياء والمرسلين من العصمة؛ ولما كان من الصعب أن يركن الإنسان إلى أحد القولين وترك الآخر، يرى الباحث أهمية الجمع بين الأمرين، أمر عصمتهم عليهم السلام وأمر أن ما في القرآن من صراحة في حقهم حق، ولذلك فأحسن ما يقال هو قول من قال أن الله تعالى شاء أن يكون ما حدث منهم -من هفوة دنيوية ومن ثم تلافيتها والتخلص منها على الفور- أسلوباً ومنهجاً تربوياً حق لنا أن نأخذ به لنسعد كما سعدوا، فكانوا القدوة لنا في ما حدث، وهم القدوة والعبرة مصداقاً لقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ...﴾ (سورة يوسف، الآية ١١١). هذا من حيث الهفوات أما من حيث الإنذار الشديد الموجه من الله تعالى إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم فإنه من تدبره علم أن المراد به الوعيد والتشديد على الأمة، على حد (إياك أعنى واسمعي يا جارة) فإن الله تعالى يخاطب الناس كافة في شخص النبي صلى الله عليه وسلم كما في قوله سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

(١) سورة إبراهيم، الآية (١١).

(٢) السيداني. العقيدة الإسلامية وأسسها، ص ١٦.

(٣) سورة البقرة، الآية (١٤٥).

وهكذا باقي الإنذارات^(١)، إضافة إلى أن العتابات الموجهة إلى شخص النبي صلى الله عليه وسلم إنما كانت من قبيل حث النبي صلى الله عليه وسلم لأن يختار الأيسر والأسهل رحمة به ورأفة وذلك كما في سورة عبس^(٢) فيعد ذلك من قبيل المدح والثناء له عليه الصلاة والسلام، فضلاً عن أن العتاب ليس من قبيل الحالات الوجدانية ولكنه شأن رباني، يترتب عليه نوع من المحاسبة اللطيفة والابتلاء الرقيق^(٣).

فتهذيب الألفاظ من قبل المؤمن في حق الأنبياء أسلم للدين -فأين هو منهم وإن بلغ ما بلغ -ولذلك يحسن بالمؤمن قول: (أن نبياً ما -عليهم السلام- كان بحاجة إلى تربية اليقين فيه أو ازدياده)، بدلاً من قول أذنب أو خطأ، وذلك مسאיرة وتمشياً مع قوله سبحانه على لسان سيدنا إبراهيم عليه عندما قال الله سبحانه له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾^(٤) والاطمئنان الذي يقصده سيدنا إبراهيم عليه السلام هو عين اليقين وحق اليقين، والذي هو موضوع هذا البحث، إذا أنه يبحث في المنهج الذي ربي الله سبحانه أنبياءه على اليقين على قدرته جل وعلا من خلال ما ذكره سبحانه لنا في كتابه، وبذلك فإن مجمل معنى تربية اليقين في الأنبياء عليهم السلام هو استحكام رسوخ العلم بالله في قلوبهم، بحيث يكسبهم زيادة الإيمان وبلوغ مرتبة الإحسان الذي ينشدونه، والذي أراد الله لهم بلوغه.

(١) رشيد رضا، تفسير المنار، ص ٤٤٥.

(٢) الشعراوي، تفسير الشعراوي، تفسير سورة عبس.

(٣) انحللاوي، موعظة القلوب، ص ١٠٣.

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٦٠).

الفصل الثاني

تحليل نماذج من قصص التربية على
اليقين بقدرة الله ورد ذكرها في
القرآن الكريم.

وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: نماذج من تربية اليقين بقدرة الله على الرزق
المبحث الثاني: نماذج من تربية اليقين بقدرة الله على الإحياء
والإماتة
المبحث الثالث: نماذج من تربية اليقين بقدرة الله على الحفظ
والحماية
المبحث الرابع: نماذج من تربية اليقين بقدرة الله على النفع والضرر
المبحث الخامس: نماذج من تربية اليقين بقدرة الله على النصر
والغلبة

الفصل الثاني

تحليل نماذج من قصص التربية على اليقين بقدرته الله ورد ذكرها في القرآن الكريم.

تمهيد:

اقتضت حكمة الله وشاءت إرادته جل وعلا أن يكون الرسل والأنبياء عليهم السلام بشراً، ولكنهم بشر رب العزة والجلال فامتثلوا أمره، وساروا على نهجه سبحانه، وقد تشرفوا بهذا التقدير الإلهي والتكريم، فلم يستكفوا عليهم السلام في أن يعدل لهم ربهم سبحانه منهجهم إذا ما اكتنفه شيء من الميل أو الانحراف غير المقصود، إن المربي ليس بشراً مثلنا بل هو رب البشر، وفي ذلك يكمن سر أهمية اتباع هذا النهج^(١)، وقد وضحه سبحانه وتعالى في كتابه الكريم حتى يتسنى لمريدي التربية القويمة السير عليه واتباعه.

إن قدرة الله سبحانه المطلقة هي مدار البحث في هذا الفصل، وقد غفل عنها كثير من الناس، بل وفوق هذا عظموا وأكبروا قدرة المخلوق الضعيف الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً. فتراهم مشدوهين عند رؤيتهم لعجائب صنع الإنسان وقدرته النسبية، كصناعته للطائرات وغيرها، ونسوا أن تلك الصنائع الحيوية وراءها قدرة قادر عظيم، أحكم قبضة الكون، فجعله خاضعاً، خضوع طاعة واستسلام لمشيئته وكلمته لا يملك أن يخرج عنه^(٢).

فأشركوا مع الله سبحانه، إذ عظموا من سواه بهذا الانبهار المتوغل في أعماق النفوس حتى صار عقيدة في القلب -والعياذ بالله- ورب العزة والجلال لا يرضى لعباده الكفر، فبين لهم حقائق الأمور، من خلال تفصيله لهم الآيات، الشهادة على قدرته، سواء كانت تلك الآيات مقروءة في كتاب الله سبحانه، أو كانت تلك الآيات منظورة أو مرئية، والمتمثلة في الآيات الكونية بما فيها الإنسان نفسه، والتي يكتشف الإنسان نفسه سرها يوماً بعد يوم. وقد أرسل الله سبحانه الرسل لتوجيه الناس إلى الله وحده وعدم تعظيم ما سواه، مهما كان شأنه، فاجتهدوا على الناس

(١) الشعراوي، دروس في الدعوة والسنهج، ص ١٥٠.

(٢) النحلاوي، عبد الرحمن، موعظة القلوب، ص ١١٤.

السنين الطوال. أما هم عليهم السلام، فإنه ما إن يبدر منهم ما يُظن أنه خلاف ما يعتقدونه من قدرة الله المطلقة بشتى جوانبها قدرته على الرزق، قدرته على الإحياء الإمامته، قدرته على الحفظ والحماية، قدرته على النصر والغلبة وغيرها من الجوانب -إلا وتتدخل العناية الإلهية في توجيه هؤلاء الرسل وإرشادهم بما يكفل صلاح دينهم ودنياهم من خلال منهج رباني يسعى الباحث إلى استنباط معالمه.

والباحث في هذه الدراسة قيّد دراسته في تربية الله لأنبيائه وأوليائه على اليقين بقدرته سبحانه، وأنه سبحانه على كل شيء قدير. متفادياً البحث في تربيته سبحانه لأنبيائه على غيرها من الصفات العلية. فذلك تحتاج إلى دراسة مستقلة وموسعة.

على أن هذه الدراسة سنتناول حياة الأنبياء والأولياء ممن ذكروا في القرآن الكريم، بحيث يتناول كل مبحث في هذا الفصل جانباً من جوانب القدرة الإلهية، على أن يكون كل أنموذج من الأنبياء أو الأولياء في مطلب من مطالب ذلك المبحث، وكل مطلب فيه ثلاث نقاط، النقطة الأولى عبارة عن عرض لآيات كتاب الله المتناولة للقصة المراد دراستها، والنقطة الثانية تحتوي على ثلاثة محاور:

المحور الأول: ويتناول تحليل التساؤل أو التصرف الفعلي الذي بدر من النبي أو الولي، والذي يستشف منه أنه محتاج لغرس المزيد من اليقين

المحور الثاني: ويتناول الكيفية التي تمت بها تربية اليقين

المحور الثالث: ويتناول نتائج تربية اليقين الذي تم تربيته كما يتناول بيان ثمرة تلك التربية.

ومن ثم بيان عرض لعناصر المنهج المستخلص بإجمال، بغية الانتفاع به، كأسلوب تربوي هادف.

المبحث الأول: نماذج من تربية اليقين بقدرته الله على الرزق

تمهيد:

إن مما ينبغي أن يعتقد المؤمن أن الله سبحانه هو الرازق وحده، ولا ينبغي له أن يتوكل في ذلك على أحد سواه، حتى الأسباب التي في ظاهرها النفع والضرر، لا ينبغي للمرء أن يعلى من قدرها ويرفع من شأنها حتى لا تتنافس عظمتها في قلب المؤمن عظمة الله سبحانه القائل: ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرُّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾^(١). كما بينا ذلك سابقاً عند الحديث عن حقيقة الأسباب.

وقد بين لنا سبحانه قدرته المطلقة على الرزق من خلال آياته في خلقه، وفي ظل حياة التعايش بين الحيوانات بأنواعها، كرزق الطائر البحري الضعيف الذي شاء الله سبحانه أن يكون رزقه من بين ثايا وأضرار التمساح المفترس وغيرها الكثير، كذلك بين لنا الله سبحانه في آياته المقروءة في القرآن الكريم، أنه سبحانه هو وحده مقسم الأرزاق يقول جل شأنه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢) وهذه الآية مفسرة للآية الكونية، أية التعايش والتكامل بين الحيوانات، إذ القرآن الكريم مفسر للآيات الكونية، كما أن الآيات الكونية مفسرة للآيات المقروءة^(٣). وهذه الآيات كفيلا بترسيخ اليقين في قلب المؤمن الذي يؤمن بأن القرآن الكريم: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٤) بشرط أن يتشرب قلبه معاني هذه الآيات الصادقة الحقة، وأنى لقلب ساء لاه استيعاب هذه المعاني كما هو حال كثير من الناس، إذ أن من الناس من قال ويقول: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾^(٥).

ومن النماذج الكريمة التي أخبرنا الله سبحانه بخرسه وتريبته اليقين فيها على أن الله هو الرازق وحده الآتي:

(١) سورة الرعد، الآية (٣٧)

(٢) سورة هود، الآية (٦).

(٣) الشعراوي، تفسير الشعراوي، في تفسير قوله سبحانه: ((هو الذي بعث في الأميين...)) الآية (١٦٤) سورة آل عمران.

(٤) سورة فصحت، الآية (٤٢).

(٥) سورة القصص، الآية (٧٨).

المطلب الأول: السيدة مريم عليها السلام، وتربية الله لها على البقين بقدرته سبحانه على الرزق

هي أم سيدنا عيسى عليه السلام، السيدة مريم بنت عمران، وهي من خير نساء العالمين، قال صلى الله عليه وسلم: [خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت رسول الله] رواه ابن مردويه من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه.

واختلف في كونها هل هي نبيية أو ولية من أولياء الله سبحانه، فرأجح أنها ولية صالحة^(١) ولتوضيح هذا المطلب، للباحث معه ثلاث وقفات، متمثلة في ثلاث نقاط، هي:

أولاً: الآيات القرآنية الكريمة التي عرضت المنهج التربوي المراد استخلاصه

قوله سبحانه وتعالى في سورة مريم: ﴿وَأذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا، فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا، قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا، قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا، فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا، فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا، فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا، وَهَزَيَ إِلَيْكِ الْجِدْعَ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حَنِيًّا، فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا، فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا، يَا أَخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا، ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ

(١) ابن كثير، اسماعيل، تفسير القرآن العظيم، المجلد الأول، تفسير الآية (٣٧) من سورة آل عمران.

يَسْتَرْوْنَ، مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١﴾.

ثانياً: تحليل مبدئي ومجمل للمحاور العامة والرئيسة للمنهج في هذا النموذج:

يمكن تحديد خطوات منهج تربية اليقين على الرزق كما هو في بقية جوانب القدرة الإلهية الأخرى- في ثلاثة محاور. لا ينفك الواحد منها عن الآخر كما سنرى. والمحاور هي كالآتي:

المحور الأول: ما بدر من السيدة مريم عليها السلام من تصرف دال على احتياجها لمزيد من اليقين (تربية اليقين)

لقد حكى لنا القرآن الكريم قصة السيدة مريم عليها السلام، والكرامة التي أكرمها الله سبحانه وتعالى بها، فإضافة إلى الاستقامة على الدين وهي خير كرامة للمرء إذا ما وفق إليها، أكرمها سبحانه بأن جعل الرزق يأتيها إلى مكانها، دون أن تتسبب في الإتيان به وإحضاره، وقد كان هذا الأمر مثير دهشة واستغراب لكفيلها سيدنا زكريا عليه السلام، يقول جل شأنه واصفاً لنا ذلك: ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١)، والرزق المقصود الفاكهة، إذ كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، وذلك يعد كرامة من كرامات الله لها^(٢).

والسيدة مريم عليها السلام لا يشك أحد في قوة معرفتها بالله ويقينها به، خاصة وهي منفرغة من أي هم أو شاغل سوى عبادة الله - وأعظم به من هم أمرها الله به في قوله: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٣)، وقد رأت عليها السلام بعين اليقين قدرة الله سبحانه على جلب الرزق بدون الاعتماد على الأسباب.

(١) سورة مريم، الآيات (١٦-٣٦).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٣٧).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تفسير الآية (٣٧) من سورة آل عمران.

(٤) سورة آل عمران، الآية (٤٣).

ولكن وبالرغم من هذه المرتبة اليقينية التي بلغتها ووصلت إليها نجدها في لحظة عابرة، لحظة انشغال القلب بما لهاه لحظة من الوقت، لحظة تلقيها خبر إنجابها طفلاً منسوباً إليها، اسمه عيسى بن مريم، نجدها تتساءل عن إمكانية حدوث ذلك، فقال رب العزة والجلال على لسانها متسائلة في ذلك: «قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا»^(١)، أي لا بالحلال ولا بالحرام وكانت تقول ذلك لجبريل عليه السلام، بالرغم من إخباره عليه السلام لها كيفية ذلك: «قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً»^(٢)، وذلك عندما استعادت بالله عند رؤيتها له بجانبها.

كذلك قولها وقت المخاض والولادة كلاماً ينبئ عن عدم قدرتها على الإفصاح عن حقيقة الأمر، من أنه أمر الله سبحانه القادر على كل شيء، فلم تقل أن جل شأنه هو الذي رزقنيه بلا حول مني ولا قوة ولا تسبب، ولم تتلق أمر الله بكامل الترحاب وأحره بل نراها كما وصف الله لنا حالها في حزن ومأساة شديدين لمجيء هذا الوليد قائلة: «يَالَيْتِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا»^(٣). ومهما تكن من أسباب دفعتها إلى قول ذلك، أظن العلماء في ذكرها، وهي لا محالة متعلقة بالدين، فالذي يعيننا في هذا البحث أن أقوالاً سابقة كذلك تصدر من امرأة تربت على اليقين التام بقدره الله المطلقة، امرأة ذات شأن كبير وقدر رفيع عند الله سبحانه، فقد أراد الله سبحانه أن تكون هي وابنها آية للعالمين يقول سبحانه في ذلك: «وَالَّتِي أَحْصَمَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ»^(٤).

إن أقوالاً تصدر من امرأة ذات منزلة رفيعة كالسيدة مريم عليها السلام، يعد في حقها كبيراً، إذ المتكفل في تربيتهما الذات العلية، فلا عجب أن تتدخل المشيئة الإلهية في تربية اليقين عندها، وهذا الذي حدث.

(١) سورة مريم. الآية (٢٠).

(٢) سورة مريم. الآية (١٩).

(٣) سورة مريم. الآية (٢٣).

(٤) سورة الأنبياء. الآية (٩١).

المحور الثاني: الكيفية التي تمت بها تربية اليقين عندها عليها السلام

إن القرآن الكريم لم يشر بصريح الذكر إلى أن السيدة مريم عليها السلام قد نقص عندها اليقين بالله سبحانه، ولكن المتأمل في النص القرآني مراراً وتكراراً، وفي كل كلمة من كلمات النص الشريف، خاصة وهو يتيقن أن كل كلمة في القرآن الكريم لم تذكر إلا لهدف وغاية، سواء عرفت تلك الغاية أم لم تعرف، وإن مما استوقف الباحث في قصة مريم عليها السلام قوله جل وعلا: ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حَيًّا، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا...﴾^(١). فقد أمرها الله سبحانه باتخاذ الأسباب والتي تكمن في أمره لها سبحانه بهز جذع النخلة، في وقت هي فيه بأمس الحاجة إلى من يعينها، ويحضر لها احتياجاتها من الطعام، وفي وقت نجده سبحانه أكرمها بإحضار الطعام بدون أسباب في السابق، بالرغم من وجود من تكفل بإحضاره، وهو من وقعت عليه القرعة وتشرف بخدمتها سيدنا زكريا عليه السلام. إن أمراً كهذا يثير التساؤل، إذ ما الحكمة في الشق عليها وإتعاها في وقت هي في أمس الحاجة إلى الراحة فيه؟، وهز جذع نخلة حتى تساقط الثمار ليس بالأمر الهين، ولا شك أن الله سبحانه قد أراها قدرته مرة أخرى بمطوعة جذع النخلة الغليظ لسواعد امرأة نفساء ضعيفة^(٢)، ولكن بعد أن انقذ في ذهنها المراد بالأمر وبذلها المجهود.

يقول الإمام القرطبي معللاً الحكمة في ذلك: (لما كان قلبها فارغاً فرغ الله جارحتها عن النصب، فلما ولدت عيسى وتعلق قلبها بحبه، واشتغل سرها بحديثه وأمره، وكلها إلى كسبها، وردّها إلى العادة بالتعلق بالأسباب. وينقل عن الطبري - مستطرداً-: أن عيسى - عليه السلام - قال لها لا تحزني، فقالت له: كيف لا أحزن وأنت معي؟! لا ذات زوج ولا مملوكة! أي شيء عذري عند الناس؟ ﴿يَا لَيْتِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا﴾، فقال لها عيسى عليه السلام: أنا أكفيك الكلام)^(٣).

(١) سورة مريم، الآيات (٢٥، ٢٦).

(٢) المرموري. في رحاب القرآن مختصر تفسير بيوض، ص ١٣٩.

(٣) القرطبي. شامع لأحكام القرآن، ج ١١، تفسير قوله سبحانه: ((وهزي إليك...))، (مريم، الآيات ٢٥، ٢٦).

ومسألة تكلم عيسى قبل مجيء السيدة مريم به إلى قومها هو رأي للطبري، لم يرجحه القرطبي، بل أن القرطبي يعزي المنادي في قوله سبحانه: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ إلى جبريل عليه السلام، وأن السري المقصود هو عيسى عليه السلام إذ معنى السري هو العظيم الخصال السيد الشريف السخي ذو المروءة^(١). وأمر كهذا -أي المشقة التي واجهتها- لا يمر على السيدة البتول مروراً عابراً، بل لا بد أن ينقدح في فكرها الهدف من ذلك والحكمة، ولا استتكاف منها في ذلك، إذ المعدل والمربى لليقين فيها هو سبحانه، وقد أثمر هذا الترويض العملي للنفس والجسد-، والذي فيه الخير المطلق لا محالة، إذ لا تتحصر نسبة التعب إلا في مشاعر الألم المؤقت، أو كراهية النفس المؤقتة، أما الخير الذي نجم وينجم عن التربية والتدريب بمثل ذلك فهو خير أعظم وأجل وأبقى^(٢)، أثمر من حيث ازدياد يقينها ورسوخها على أن الله سبحانه القادر على كل شيء بما فيه قدرته المطلقة على الرزق. ودلالة نجاح هذه التربية العملي والترويض نجدها في المحور التالي.

المحور الثالث: من دلائل انغراس اليقين الذي تم تربيته في السيدة مريم عليها السلام (ثمرة المجاهدة)

من خلال أسلوب لفت النظر والفكر الذي استخدمه رب العزة والجلال في تربيته السيدة مريم على اليقين، الذي يكمن كما بينا في المحور الثاني- في التربية العملية للنفس جسداً وروحاً، يتبين لنا عند متابعتنا للنص القرآني وسرد القصة أن التربية المرادة أنت أكلها بعد تدبرها -عليها السلام- المراد منها، إذ أن من شأن اللبيب التفكير في كل شاردة وواردة تمر به، وهذا الذي حدث عند السيدة مريم عليها السلام فقد انغرس ونما اليقين في قلبها على أن الله على كل شيء قدير، وأنه الرازق لكل حي، بالأسباب وبدونها، فهو خالق الأسباب والقادر على إخضاعها كيفما أراد ومتى أراد، فلا ينبغي التعلق بالأسباب كلية ونسيان المسبب سبحانه. ومن دلائل تربية اليقين في قلبها ما نراه من إتيانها بابنها الصغير رافعة الهامة، عزيزة

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سري).

(٢) الميداني، ابتلاء الإرادة، ص ٨٣.

النفس، مطمئنة إلى معية الله سبحانه، وقدرته على ترسيخ هذا المفهوم في قومها، مشيرة بأصبعها إليه في حال لقائها لهم، إشارة واثقة فيها بقدرته الإفصاح عن هويته، وأنه إضافة إلى كونه عبداً ونبياً هو أيضاً رزق من الله وهبة لأمه بالبر بها والإخلاص في خدمتها: «وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً»^(١) أي كثير الإحسان إليها^(٢). قال سبحانه في وصف ذلك المشهد الناتج عن قوة يقينها بالله سبحانه، من أن الله قادرٌ أن يغير ناموس الكون والحياة فيخضعه وفق إرادته سبحانه، فكما أنه أكرمها بالرزق وهي في المحراب متعبدة وذكرها بذلك عندما غفلت، وأكرمها بالابن بقدرته، قادر أن يرزقها راحة البال وطمأنينة النفس، بتمكين الوليد الرضيع النطق للدفاع عنها ﴿فأشارت إليه﴾ وهذا الأمر يزيد الأمر تعقيداً، إذ فيه تهكم بها وسخرية، واستنقاص في شأنها لأول وهلة، في وقت هي بحاجة فيه إلى ما يطفئ الجو ويهدئ المشاعر. فما تدعوهم إليه عجباً^(٣) ولذلك قالوا: (كيف نكلم من كان في المهد صبيّاً) فنطق عليه السلام ملجماً الأفواه محيراً العقول، قائلاً حقيقة أمره، وهو في نفس الوقت حقيقة أمر أمه أيضاً. إنه اليقين على قدرة الله برزقها من يشهد لعافها وطهرها أمام الملأ، ويغذي نفسها طمأنينة وأمناً كما غذى جسدها من قبل رزقاً.

ومما يجدر ذكره أن ثباتها على الطاعة حتى كانت من المصطفين الأخيار يعد خير ثمرة لرسوخ اليقين التام فيها.

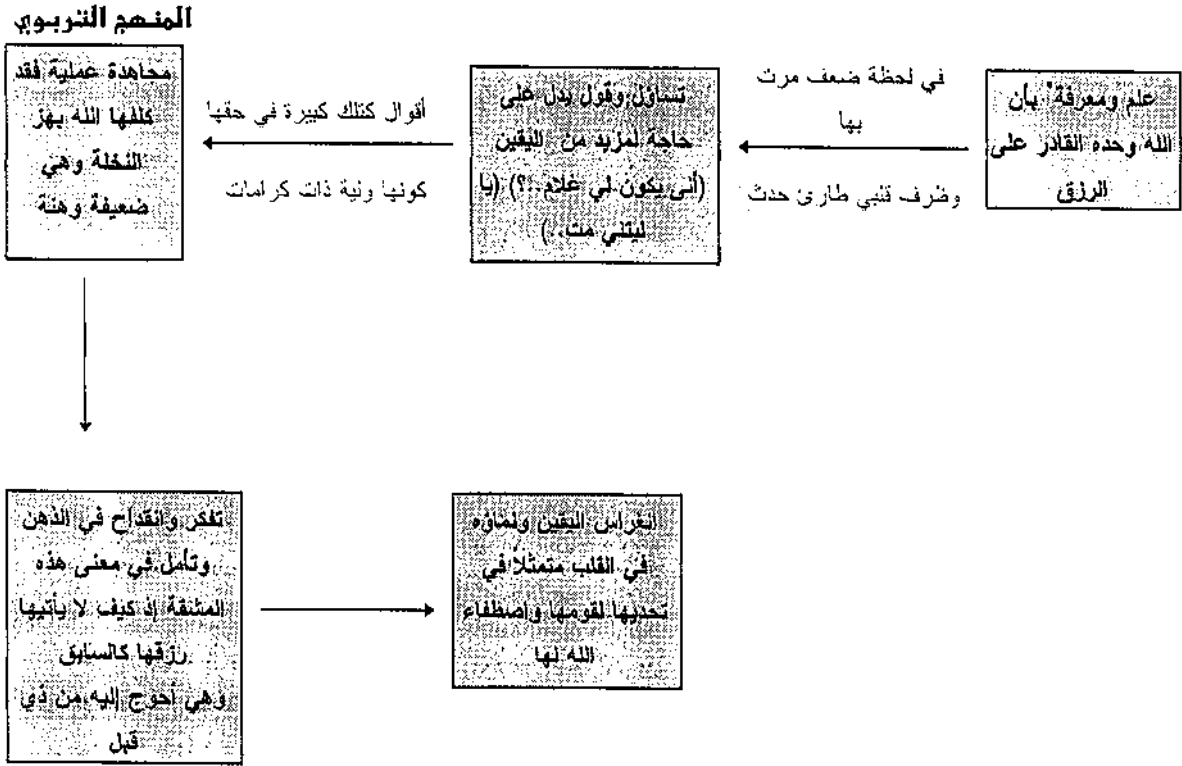
(١) سورة مريم. الآية (٣٢).

(٢) ترحيبي. تفسير الوحي، تفسير الآية (٣٢) من سورة مريم.

(٣) قطب. في ضلال القرآن، ج ٤، تفسير الآية (٢٩) من سورة مريم.

ثالثاً: عناصر المنهج المستخلص من قصة تربية الله للسيدة مريم عليها السلام على اليقين بإجمال

إن منهج تربية الله للسيدة مريم على اليقين بقدرته سبحانه على الرزق يلخص في الشكل التالي:



(شكل ١) ويبين المنهج القرآني في تربية الله للسيدة مريم عليها السلام على اليقين بقدرته سبحانه على الرزق).

ملحوظة: الباحث في هذا النموذج وفي باقي النماذج اللاحقة يعبر فيه عن وجهة نظره التي تبينت له ولم يجدها مكتوبة عند من سبقه -حسب اطلاعه-، ويرى أن هذا البحث ليس محل بسط لأراء من سبقه، فالبحث لا يهدف إلا إلى استخلاص منهج تربوي يراه يكمن فيما ذهب إليه من نظرية.

كما بينا سابقاً وسنضرب في ذلك لاحقاً، أن العلم والمعرفة بالشيء شيء والتيقن القلبي به شيء آخر، ولذلك لا ينكر أن الناس تعلم أن الله قادر على كل شيء ولكن لما يدخل في قلوب الكثير منهم ذلك، يتبين ذلك من خلال السلوكيات المنافية لليقين والنعيم الحقيقي المطلوب هذا بالنسبة لعوام الناس. أما عواص الناس من الأنبياء والأولياء ومن لم تلوث فطرته تلوث المشين، فإن العلم المقصود الذي عندهم هو علم اليقين، والذي قد يُغفل عنه في بعض الأحيان لأسباب طارئة، وقد يطلب النبي أو نولي تنسيته إلى حق اليقين أو عين اليقين كما طلب ذلك سيدنا إبراهيم عليه السلام، ورب العالمين يرجو من عباده وأصفيائه برزخهم درجة أعلى من علم اليقين، فبريهم لبلوغ ذلك، وهو سبيل لا محالة لكل من يرجو تزكية نفسه وتضييرها.

المطلب الثاني: أصحاب الجنة في سورة القلم، وتربية الله لهم على اليقين بقدرته سبحانه على الرزق

إن أي قصة من قصص القرآن الكريم عادة ما يمكن إدراجها تحت عدة عناوين مختلفة، كونها ذات دلالات تربوية عدة، أو تحمل في مضمونها عدة توجيهات مختلفة. وإن الباحث عند وقفه متأملاً في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم، رأى أنها نص صريح في إثبات حقيقة أن الله هو الرازق وحده، وأنه مهما حاول المرء الحصول على الرزق بنفسه بالادخار مثلاً مستخدماً شتى الوسائل، الحلال منها والحرام فلن يفلح ما لم يشأ الله له ذلك، وهذا ما حاول فيه أصحاب الجنة إذ أرادوا -كما سيأتي- الحصول على كم وافر من الجني وقت الحصاد، ولكن على حساب هضم حقوق المستحقين من المساكين والفقراء، فلم يمكنهم الله من ذلك، وشاء أن يربيهم سبحانه على أنه وحده هو الرازق، وأن ما أعطاهم إياه ينبغي مقابلته بالشكر، والشكر الحقيقي في المال يتمثل في القيام بحقه، شاء أن يربيهم سبحانه كونهم مسلمين وأبناء رجل صالح كانت سيرته في الجنة (البستان) سيرة حسنة وعادلة، وقد عهدوا هم منه ذلك. فكان إكرام الله لهم أنه لم يستدرجهم بفتح الخير عليهم في حال عصيانهم بل نبههم سبحانه بسوء عاقبة فعلهم، فضياع البستان في هذه الحياة لا يساوي شيئاً مقابل خسران الآخرة -والعياذ بالله-.

وأصحاب الجنة هم من أولياء الله سبحانه ثبتت توبتهم وإنابتهم إلى ربهم، فهم رغبوا إليه وسبحوه واعترفوا بالذنب، ولم يذكرهم سبحانه بما يبطل هذا منهم، والتهديد والوعيد في آخر القصة تلك إنما هو النفات لأهل مكة^(١) وما حدث لبستانهم من دمار وخراب إنما هو تربية لليقين في قلوبهم -كما سيأتي- فرسوخ اليقين وتثبيته في القلب لا يتم إلا بالتضحية والمشقة كما سيتبين.

^(١) إن من أدق الأمور المحفوظة على المرء اعتقاده بأن ما يدخره من مال فيه النفع والفائدة، متيقناً ذلك فيه من سيوئه قبه. غالباً عن أنه لا يعدو كونه سبباً وسبباً فقط، فكم من إنسان كان سبب هلاكه ماله الذي ادخره بكثرة همه فيه بدرجة المرض واليلاك، وكم من مال يقن صاحبه فيه النفع، إذ به يستطيع جلب ما يريد، أصبح بين عشية وضحاها منتهي الصلاحية بسبب سياسي أو اقتصادي، أو ادخره لحلب السعادة لأولاده فإذا به يحلب التعاسة بانغماسهم في حسنة الرذيلة. فالمال ينبغي -بمهما كان مقداره- أن يُنزل منزلته، كونه سبباً متى شاء الله فيه النفع نفع، ومتى شاء غير ذلك وقع، وإلا لأصبح إنياً بعيد من دون الله إذ يعتقد فيبي النفع ذاته والعياذ بالله.

(١) الطغيش، هيسان الزاد إلى دار المعاد، ج ١٤، تفسير سورة القلم.

ومما ينبغي التنويه إليه أنهم يعلمون أن الله هو الرزق، فلو لم يكن إلا ما ذكرهم به أحوهم لكفى، فقد قال الله سبحانه في ذلك: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾^(١) أي تذكرونه وتستغفرونه، ولا تفعلوا ما يغضبه^(٢) ولكن -وكما سبق- فرق بين العلم بالشيء ورسوخ ذلك العلم في القلب فيصلح الجوارح تبعاً.

ولتناولنا لهذه القصة كإنموذج للتربية على اليقين التام بقدرته سبحانه على الرزق، متى شاء أعطى ومتى لم يشأ منع وحرّم، لتناولنا لها ثلاث نقاط:

النقطة الأولى: فيها سرد للآيات الكريمة التي حكّت تلك القصة التربوية.

والنقطة الثانية: عبارة عن ذكر لثلاثة محاور رئيسة في القصة من خلالها تتبين عناصر المنهج المراد استخلاصه.

والنقطة الثالثة: سرد للمنهج المستخلص بإجمال

أولاً: الآيات القرآنية التي عرضت المنهج التربوي المراد استخلاصه من قصة أصحاب الجنة في سورة القلم:

قال الله تعالى في سورة القلم الآيات (١٧-٣٣):

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ، وَلَا يَسْتَشُونَ، فطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ، فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ، فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ، أَنْ ائِدُوا عَلَيْنَا وَخَرَّبْنَاكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَنَاطَلُوا مِنْهُمْ نَجَافَتُونَ، أَنْ لَآ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ، وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ، فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ، بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ، قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ، قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ، قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ، عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ، كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

(١) سورة القلم، الآية (٢٨).

(٢) الرحيبي - التفسير الوجيز، تفسير الآية.

ثانياً: تحليل مبدئي ومجمل للمحاور العامة والرئيسية في هذا النموذج:

يمكن تحديد خطوات منهج تربية اليقين بقدره الله على الرزق في هذا النموذج - أصحاب الجنة الوارد ذكرهم في سورة القلم من خلال ثلاثة محاور. وهي كالآتي:

المحور الأول: ما بدر من أصحاب الجنة الوارد ذكرهم في سورة القلم من تصرف دال على احتياجهم لليقين (تربية اليقين):

يقول صحاب تفسير هيميان الزاد إلى دار المعاد في وصفهم: (هم قوم في اليمن دون صنعاء بفرسخين يقال له صوران، وكان أبوهم صالحاً يأخذ منه قوت سنة ويتصدق بالباقي، وقيل كان ينادي الفقراء وقت موسم الحصاد ليترك لهم ما خطاه المحل، وما ألقته الريح، وما بعد من البساط، وما يبقى بعد الرفع، وكل ما ينتشر، وكذلك في العنب والزرع وغيرهما، فكان يجتمع لهم كثير. ولما مات ترك ثلاثة بنين، وهم أصحاب الجنة المعنيون في القصة، وقالوا: فعل أبونا ذلك حين كثر المال وقل العيال، ونحن اليوم في عيال كثير ومال قليل، ويضيق ذلك علينا، فحلفوا ليصرمها وقت الصباح الباكر خشية رؤية المساكين لهم)^(١). وقد حكى لنا رب العزة والجلال النية التي أزمعوا عليها وبيتوها في قوله جل وعلا: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ، وَلَا يَسْتُونَ﴾^(٢) فقد أجمعوا على عدم إعطاء المساكين حقهم، وكان إجماعهم ذلك بعد جدل بينهم وبين أوسطهم الذي تبع أمرهم في النهاية^(٣). وقيل ﴿وَلَا يَسْتُونَ﴾ أي لم يقولوا إن شاء الله^(٤) وكانوا يهدفون من هذا الأمر توفير الخير المادي لهم، والذي يكمن في صنوف الثمار، طائنين أن في إعطائهم الفقراء والمساكين ما يضيق عليهم الحال، فهم يودون سعة العيش ورغد الحال، وما ذلك إلا لنقص يقينهم بالله سبحانه، فحل في قلبهم يقين فاسد معتمد على الأسباب والماديات كل الاعتماد، مبتعد عن ذنهم البركة التي يضيفها الله سبحانه على المال المطهر بالزكاة الذي لا محالة يعلمونها، فقد كانوا مسلمين من أتباع

(١) أطنيش، هيميان الزاد إلى دار المعاد، تفسير سورة القلم.

(٢) سورة القلم، الآيات (١٧، ١٨).

(٣) أطنيش، تفسير التفسير، ج ١٤، -تفسير الآيتين (١٧، ١٨) من سورة القلم.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٨، تفسير الآية ﴿وَلَا يَسْتُونَ﴾.

عيسى عليه السلام، إذ كانوا بعد رفعه عليه السلام بيسير^(١).

ومجمل القول إن أمر تبييت النية السيئة التي عزموا على تنفيذها يعد كبيراً في حقهم كأناس موحدين أبناء أصل طيب، لذلك تكفل سبحانه بتربيتهم إكراماً لأبيهم، وليجتبيهم الله بعد إنابتهم من خطئهم كما حدث لسيدنا آدم عليه السلام، إذ قال عنه سبحانه: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾^(٢).

والذي يعضد ما نرمي إليه، من أن ما حدث لهم هو تربية لهم وليس انتقاماً، وإن كان في ظاهره الانتقام، هو أن الله سبحانه أحرق بستانهم بمجرد تبييتهم النية، وقبل أن يقدموا على الفعل، ورب العزة والجلال يحلم ويمهل من هم في حماة المعاصي، فكيف يؤاخذ هؤلاء بمجرد عقدهم العزم، إلا لأن الأمر فيه اختبار وابتلاء، وتركية لأنفسهم، وبالفعل كان ما حدث لهم عين الخير وإن كان في ظاهره العذاب، فالمصائب وسيلة لتربية النفس.

المحور الثاني: الكيفية التي تمت بها تربية اليقين في نفوس أصحاب الجنة (البستان)

لقد تمت الإشارة إلى الكيفية في المحور السابق، وهي أنه جل وعلا أحرق بستانهم وأزاله عن الأنظار، فلم يجدوا إلا الأرض، حتى ظنوا أنهم ضلوا الطريق، ولكن ما لبثوا أن تيقنوا أنهم أرادوا شيئاً، وأراد الله شيئاً آخر، أرادوا أن يخلدوا إلى الأرض بحبهم المال وفرارهم وخشيتهم من الفقر، وأرد الله أن يلفت باتباع ما أمر انتباههم إليه، ليسموا بأنفسهم نحوه، قبل فوات الأوان، وأما ما ضاع منهم فمتدارك ومقدور عليه. إن فقد المرء شيئاً عزيزاً على النفس، ويعول عليه الفائدة، يحدث وقعا مدوياً لا ينسى، يظل يراوده كلما هم في الغفلة، أو نوى الزيف، غير ناظر بما ذهب عنه بل ناظر بعين البصيرة بالقدرة الخارقة التي ذهبت به من بعد أن أوجدته من قبل، فيحل في القلب اليقين على ذي القدرة جل وعلا، بأنه كما منع وحرّم قادر أن يعطي ويهب.

(١) الفرضي. الجامع لأحكام القرآن، ج ١٨، تفسير الآية (١٧) من سورة القلم.

(٢) سورة ص، الآية (١٢٢).

فكانت التربية في كفيته متعبة، ففيها المشقة والتضحيات، وقد وصف الله ما حل بهم - أصحاب البستان - في قوله جل وعلا: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ، فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ، فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ، أَنِ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ، أَن لَّا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ، وَغَدُوا عَلَيَّ حَرْدٍ قَادِرِينَ، فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ، بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾^(١). ولكن ما رأوه من حدث جسيم يهون في سبيل التنبيه الرباني، ليعودوا إلى ربهم، ويثوبوا إلى رشدهم، فقد تلقوا تربية الله لهم برحابة الصدر، متهمين أنفسهم بالإجرام والضلال والظلم والطغيان، وهذا هو نتائج التربية المرتجاة، وهو اليقين الذي انغرس ونما في القلب، وهو مدار الحديث في المحور الثاني.

المحور الثالث: من دلائل انغراس اليقين الذي تمت تربيته في أصحاب الجنة الوارد ذكرهم في سورة القلم (ثمرة المجاهدة).

إن في آيات كتاب الله الواردة في أصحاب الجنة ما يفيد أنهم استفادوا مما رأوه من حدث يدخل الخشية في القلب، وانغراس اليقين الصحيح في قلوبهم على أن الله وحده هو الرزاق الكريم، وإخراج اليقين الفاسد من أن الأسباب والماديات ليست هي كل شيء، فالآيات القرآنية الكريمة تصف لنا ثمرة التربية بالمجاهدة، خاصة أنهم لم يمروا ما حدث مرور العابر، بل تفكروا وتأملوا ملياً، وعرفوا أنهم المقصودون بما حدث، يقول سبحانه: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ، بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ، قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ، قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْهُمْ، قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ، عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾^(٢).

فهم قد رجعوا إلى ربهم راجين الصفح والغفران والرزق الحلال، وقد ورد أنهم قد رزقوا خيراً منها^(٣).

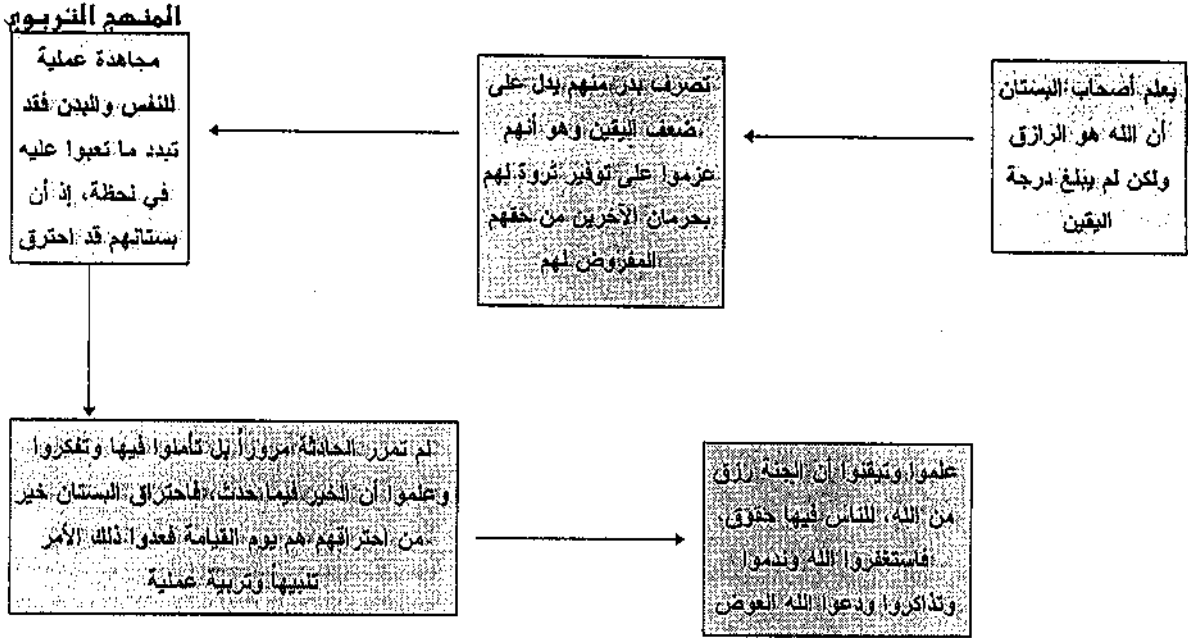
(١) سورة النجم، الآيات (١٩-٢٧).

(٢) سورة النجم، الآيات (٢٦-٣٢).

(٣) أنطيش، هيسان الراد، ج ١٤، تفسير سورة القلم.

ثالثاً: المنهج المستخلص من قصة تربية أصحاب الجنة

يمكن إجمال ما تم تحليله في المحاور السابقة في الشكل التالي والذي يتبين من خلاله المنهج القرآني في تربية اليقين بقدرته سبحانه، الذي سيتم تحليله في الفصل الثالث:



(شكل ٢) ويبين المنهج القرآني في تربية الله لأصحاب الجنة

ملحوظة: تنظر الملحوظة ص ٤٤.

المبحث الثاني: نماذج من تربية اليقين بقدرة الله على الإحياء والإماتة

تمهيد:

إن مما ينبغي اعتقاده يقيناً لا يساوره أدنى شك، أن الله سبحانه وتعالى هو من بيده نواصي كل حي ومقاليد كل شيء، يحيي ويميت وحده، لا يناقسه في ذلك أحد، وضرورة ترجمة ذلك الاعتقاد على أرض الواقع، كالإقدام في ساحات الوعى، والشجاعة في قول كلمة الحق والجهر بها، والمجاهدة بفعل الخير مهما كثر مبغضوه، وغيرها من السلوكيات النابعة من هذا الاعتقاد الراسخ والتي ليس هذا محل بسطها.

إن الإحياء والإماتة هما الظاهرتان المتكررتان في كل لحظة، المعروضتان لحس الإنسان وعقله، وهما في الوقت نفسه - السر الذي يحير، فالإنسان لا يعرف شيئاً عن حقيقة الحياة وحقيقة الموت ولكن مظاهرهما مدركة في الأحياء والأموات، والمرء ملزم أن يكل مصدرهما إلى قوة ليس من جنس القوى الدنيوية بل هي قوة الله وحده وقدرته. وقد أخطأ أقوام فاعتقدوا أن للمخلوقين دوراً في ذلك الأمر، كالذي كان يدور في خلد من حاج إبراهيم في ربه، فقد مارى في تلك الحقيقة الهائلة التي قل من يفقهها، والذي حدا بسيدنا إبراهيم عليه السلام أن يطوي عليها صفحاً، لعلمه عليه السلام صعوبة فهم النمرود لتلك الحقيقة الكبيرة^(١).

فكثير من الناس يعلمون أن الله سبحانه هو المحيي والمميت، ولكن لما يدخل هذا العلم في قلوبهم، فتصرفات الكثير منهم تناقض ذلك، فتراه يعتقد في المخلوق الإحياء والإماتة، معظماً هذا المخلوق إلى درجة التأليه والعبادة والعياذ بالله-. وأمثلة ذلك اعتقادهم بقدرة المخلوقات الضارة كالفيروسات والميكروبات والقوارض والحيوانات المفترسة بل والظلمة من الناس كالسحرة والجابرة اعتقادهم في كل هؤلاء قدرتهم على الضر في ذاتهم، وأنهم المميتون لمن يشاؤون، فضلاً عن خوفهم من الموت نفسه، فلا ترى المعتقدين ذلك إلا السعي وراء الاسباب الدنيوية البحتة

(١) قطب. في خلال القرآن. المجلد الأول، ص ٢٩٨.

لاعتقادهم أنها تجنبهم الأضرار والمفاسد، فيلجؤون إلى التحصينات الوقائية وغيرها اعتقاداً في قدرتها، ونسوا خالق ما اعتقدوا فيهم كل ذلك، وأنها لا تضر إلا بإذن الله.

إن الناس في تربية مستمرة على اليقين بقدرة الله على الإحياء والإماتة فقط لو تفكروا فيما يدور حولهم من أحداث حول ذلك.

ولو لم يكن إلا إخبارنا سبحانه في كتابه الحق عن رباهم على اليقين بذلك لكفى، كيف ونحن نرى ذلك عياناً. فكم من صحيح مات من غير علة، وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر.

وقد ربى الله سبحانه وتعالى أصفياه من خلقه تربية لا يقدر عليها الدون من البشر، رباهم على اليقين الصادق بقدرته على الإحياء والإماتة، تربية رسخت في القلب، وانصاعت لها الجوارح، وممن رباهم جل وعلا على ذلك النوع من اليقين الآتي:

المطلب الأول: سيدنا إبراهيم وتربية الله له على اليقين بقدرته سبحانه على الإحياء والإماتة

إبراهيم عليه السلام نبي الله ورسوله، وهو خليل الله سبحانه مصداقاً لوصف الله له ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ [النساء: ١٢٥]، ووصفه سبحانه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]، ورد ذكره عليه السلام في العديد من سور القرآن الكريم، والباحث في هذه الرسالة ليس بصدد التحقيق في نسبه عليه السلام الذي أطنب في ذلك الكثير من أهل العلم، ولا بصدد التقصي لمواضع ذكر القرآن الكريم له عليه السلام، وذلك كون الدراسة معنية باستخلاص منهج تربوي، فالموضع المعني بالدراسة هو قوله سبحانه في سورة البقرة الآية ٢٦٠: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۗ﴾. إذ أن هذا الموضع يراه الباحث متعلقاً بالمنهج التربوي المراد دراسته، المنهج الذي ربى الله عليه صفيه وخليله إبراهيم عليه السلام، منهج تربية اليقين بقدرة الله على الإحياء والإماتة. والذي يمكن دراسته وجلاؤه من خلال النقاط التالية:

أولاً: الآيات القرآنية الكريمة التي عرضت المنهج التربوي المراد استخلاصه

ورد موضع ذلك في قوله سبحانه في سورة البقرة الآية (٢٦٠): ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطَمِّنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

ثانياً: تحليل مبدئي ومجمل للمحاور العامة والرئيسة للمنهج في هذا النموذج

يمكن تحديد المحاور المراد دراستها كخطوات للمنهج التربوي المراد استخلاصه كالتالي:

المحور الأول: ما بدر من سيدنا إبراهيم عليه السلام من تساؤل دالٍ على احتياجه لمزيد من اليقين (تربية اليقين)

إن مما يجدر ذكره أن سيدنا إبراهيم عليه السلام عالم بالله وعارف له أنه ذو القدرة المطلقة على كل شيء، وأنه لا يعجزه سبحانه شيء في الأرض ولا في السماء، له الأسماء الحسنى والصفات الجللى، وما الطلب الذي بدر منه عليه السلام والذي حكاه الله سبحانه وتعالى عنه وعلى لسانه إلا لأمر شاء الله أن يعلمنا إياه، ويربيننا على الحصول عليه، وهو ازدياد اليقين الذي ما إن يحل في القلب إلا وشع نوره من خلال السلوكيات النورانية، والأخلاق الربانية، ليكون المرء في هذه الحياة ربانياً قلباً وقالباً، معاملات وأخلاقاً.

يقول الله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ إنه التشوف إلى ملابسة سر الصنعة الإلهية، أراد أن يرى يد القدرة الإلهية وهي تعمل ليحصل على مذاق هذه الملابس فيستروح بها، وينتنفس في جوها، ويعيش معها وليصل إلى المذاق الإيماني العالي^(١).

لم يكن سؤاله عليه السلام ناتجاً عن وجود شك يساور قلبه، أو يخالجه باله وفكره، بل ليصل إلى درجة أسمى من اليقين، وقد أفصح هو نفسه عن ذلك صراحة

(١) قطب، في ضلال القرآن، ج ١، تفسير الآية (٢٦٠) من سورة البقرة.

إثر سؤال الله له وهو المطلع على حاله في قوله «أَوَلَمْ تُؤْمِن» أي ألم تعلم وتؤمن بقدرتي على إحياء الموتى؟ قال بلى أنا مؤمن بك حق الإيمان «وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي» أي ليزداد يقيني، فيصير عين اليقين بعد علم اليقين، لأن العيان أقوى من الإخبار^(١).

وقد ورد في ذلك هذا التفسير، أورده ابن حجر في فتح الباري، فقال: روى ابن جرير بسنده الصحيح إلى سعيد بن جبير قال: قوله ليطمئن قلبي، أي يزداد يقيني^(٢)، فكيف لا يرغب في ذلك، أي إلى ازدياد اليقين، واليقين هو كل الإيمان؛ فقد ورد في ذلك أثر حكاه ابن مسعود رضي الله عنه: اليقين الإيمان كله. فقال ابن حجر معقياً عن ذلك: اليقين هو أصل الإيمان، فإذا أيقن القلب انبعثت الجوارح كلها للقاء الله بالأعمال الصالحة، وورد عن سفيان الثوري قوله: لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطار اشتياقاً إلى الجنة وهرباً من النار^(٣).

ومما لا مرأى فيه ولا جدال أن الخبر ليس كالمعينة. ففي حديث جاء من طريق ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [ليس الخبر كالمعينة، إن الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل، فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت]^(٤).

وسيدنا إبراهيم عليه السلام طلب المعينة لزيادة يقينه وتقويته^(٥). يقينه التام والخالص بقدرة الله المطلقة على كل شيء ومنها قدرته على الإحياء والإماتة، وقد استجاب الله له طلبه لشرف مقصده عليه السلام وعظيم غايته، لبي طلبه بطريقة لو لم يستخدم فيها فكره وعقله لما توصل إلى الهدف المرجو والغاية المأمولة.

هذا وأن الباحث لم يجد مسوغاً مقنعاً في جعل طلب إبراهيم عليه السلام من ربه رؤيته كيفية إحياء الموتى بأنه كان بناء على طلب النمرود منه كما قال ذلك صاحب كتاب مدرسة الأنبياء عبر وأضواء^(٦) نقلاً عن التفسير الكبير ٣٨/٧، وتنزيه

(١) اضفيش، تيسير التفسير، ج ١، ص ٤٢٤.

(٢) العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، ص ٦٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٣.

(٤) الألباني، صحيح الجامع (٥٣٧٤).

(٥) الهوارى، تفسير كتاب الله العزيز، ج ١، ص ٢٤٤.

(٦) الزين، مدرسة الأنبياء عبر وأضواء، ص ٧٤.

الأنبياء للبغدادي ٣٠ - إذ لو كان الأمر كذلك لحكى لنا القرآن ذلك لنا صراحة، كما حكى لنا أن بني إسرائيل هم من سألوا موسى رؤية الباري سبحانه في قوله جل وعلا: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(١)، ومن حاج إبراهيم لم يقل عنه القرآن ذلك، ولو كان وقت سؤال إبراهيم ربه كيفية إحياء الموتى متأخراً لوقت محاجته النمرود لقل لعل النمرود استطاع إدخال الشك في قلب الخليل عليه السلام - وهذا ما لا ينبغي قوله-، فكيف وما أورده بعض المفسرين في تحقيقهم لذلك لا يستند إلا على روايات يغلب على الظن أنها ضعيفة فهي مجرد آراء، في حين أن هناك رأياً قاله القرطبي^(٢) ونقله عنه العديد من المفسرين منهم صاحب تيسير التفسير وهو أنه عليه السلام رأى حيواناً ميتاً على الساحل، يأكل منه الحوت في حالة المد، وتأكل منه الحيوانات البرية في حالة الجزر، فتساءل كيف تتجمع أوصال هذا المأكول من بين كل هذه الأكلة؟! فسأل ربه رؤية ذلك، وإثر رسوخ هذا المشهد الذي أراد الله إياه اندفع دون تردد قائلاً - وقت محاجته النمرود- بأن الله يحيي ويميت كما بينا وكما سيأتي- فقد رسخ الله هذا المفهوم فيه مسبقاً عن وقت محاجته له بأسلوب يتبين في المحاور التالية:

المحور الثاني: الكيفية التي تمت بها تربية اليقين عند إبراهيم عليه السلام

إن الآيات القرآنية الأنفة الذكر لتحكي صراحة عن مقصد المشقة والتكليف التي أمر الله بها سيدنا إبراهيم عليه السلام، فقد جاءت تلك الأوامر الربانية لسيدنا إبراهيم والتي نحن بصدد تحليلها في هذا المحور جاءت إجابة لطلبه مشاهدة كيفية إحياء الموتى، وعرفنا من خلال النص الهدف من طلبه لذلك؛ وهو زيادة اليقين، مما يعني أن التكليف الذي أمر به عليه السلام إنما هو أسلوب تربوي يهدف منه غرس وتنمية اليقين الذي يأمل في ازدياده عليه السلام، ولله حكم لطيفة في عبادته، إذ يعطي كل فرد من وسائل التربية والتأديب وصورهما ما يلائم فطرته نفساً وفكراً وجسداً^(٣).

(١) سورة النساء، الآية (١٥٣).

(٢) القرطبي. انجم لأحكام القرآن، تفسير الآية (٢٦٠) سورة البقرة.

(٣) الميداني. ابتلاء الإرادة بالإيمان والرسول والعبادة، ص ٨٣.

يقول الله سبحانه آخذاً بيد من يطلب اليقين سيدنا إبراهيم عليه السلام:-
﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعياً
وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وقد رأى إبراهيم السر الإلهي يقع بين يديه، طيور فارقتها
الحياة، فقد مزقت أشلاء وتأكد هو من ذلك، وتفرقت ممزقة في أماكن متباعدة، فإذا
الحياة تدب في أوصالها مرة أخرى وتعود إليه سعياً، والذي حدث أمر لا تدرك
طبيعته ولا يعرف كنهه، والناس لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وجل وعلا
لم يشأ أن يحيطوا بهذا الطرف من علمه، لأنه أكبر من أن يدرك، ولا حاجة لهم به
في خلافة الأرض وعمارتها^(١).

والذي يعيننا تقريره وتحقيقه في هذا المحور هو تلك المشقة والتكليف العملي
المضني الذي أمر الله به نبيه وخليله حتى يصل إلى مراده، وهذه المشقة التي ينبغي
أن تستوقفنا بعض الوقت، وهي لا شك لم تذكر في القرآن لزيادة كلمات، فالقرآن
كما نعتقد فيه -والحمد لله- كل كلمة فيه وجدت لحكمة ومعنى، علمنا ذلك أم لم نعلم،
وهذه المشقة تكمن في نوعية الحيوان ذات الروح المراد تجربته، إذ أنها كانت
طيوراً، ونحن ندرك ما للطيور من مشقة في استجلابها، وإن كانت طيوراً ذات
أجناس مختلفة فهو أشق، فضلاً عن المشقة التي تكمن في المكان الذي يوضع فيه
كل جزء ممزق، إنه قمة جبل، ولا تخفى مشقة صعود قمة جبل، والنزول منها، قمة
بعد قمة، في حين أن بإمكانه رؤية ذلك عن قرب وفي الحال، إن الباحث هنا ليس
بصدد ذكر الأقوال التي تطرق إليها المفسرون كالقرطبي في الجامع، وابن كثير في
تفسيره وغيرهما من حيث أنواع الطيور ومسمياتها، وعدد قمم الجبال المتباعدة،
وطريقة تمزيق ومزج كل طائر وطريقة مجيئها إليها، إذ الحديث عنها لا يخدم
البحث، وإن كانت تلك الأقوال تؤكد وجود مشقة وتكلفة شديتين تكبدهما سيدنا
إبراهيم عليه السلام، ولكن كفانا بالنص القرآني دليلاً فهو مصرح بهذه التكاليف
تصريحاً لا لبس فيه ولا يحتمل التأويل.

ومجمل القول إن ثمة مجاهدة وتضحيات نفسية وبدنية فضلاً عن تفرغ وقت
من الحياة، كل هذا وذاك يهون في سبيل الثمرة المرتجاة، اليقين التام على أن الله

(١) قطب، في ظلال القرآن... ج ١، تفسير الآية (٢٦٠) من سورة البقرة.

سبحانه عزيز أي ذو القدرة الكاملة^(١)، وحكيم ذو الحكمة البالغة في صنعه وتدبيره^(٢) وهذا ما تبين لسيدنا إبراهيم عليه السلام عياناً، وهذه المجاهدة التي واجهها وعاشها أйнعت ثمارها في أمر سوف يتضح في المحور التالي.

المحور الثالث: من دلائل انغراس اليقين الذي تم تربيته في سيدنا إبراهيم عليه السلام (ثمرة المجاهدة)

إن ثمرة اليقين الذي انغرس وربى في قلب سيدنا إبراهيم عليه السلام، اليقين بأن الله سبحانه قادر على الإحياء والإماتة، ثمرة هذا اليقين ظهرت جلية واضحة - بعد تتبع قصص سيدنا إبراهيم في مواضع أخرى في القرآن الكريم ظهرت في حاجته عليه السلام للنمرود الذي ذكر القرآن الكريم أنه حاجه في الله. فقد قال جل شأنه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣) فكما يرى المتأمل في قول الله تعالى في الآية السابقة في أنه عليه السلام نطق بما أيقن به قلبه، ووقر فيه، فحاج خصمه رأساً بأن الله هو من يحيي ويميت، وبعد بحث وتقص لم يجد الباحث ما يمنع من تقديم آية سؤاله ربه إحياء الموتى عن آية حاجته الخصم، فضلاً عن تيقن سيدنا إبراهيم عليه السلام أن حاجة خصمه بالإحياء والإماتة أمر ليس بالهين فلرسوخه يحتاج إلى عنت كما حدث له هو عليه السلام، مما دفعه عليه السلام إلى حاجته بأمر كان قد تفكر فيه سابقاً أيضاً - وجاء متأخراً في الذكر عن آية حاجة الخصم - وهو الشمس، فانبهر النمرود بالحجة القاطعة إذ كيف له الإتيان بالشمس من المغرب.

كما أن إيمانه بالقادر العظيم وتيقنه بقدرة الله تعالى قد تجلى في تركه أهله، زوجه وابنه، في وادٍ غير ذي زرع ولا ماء في مكة حال موتها، تيقناً في الله إحياء أهله إذا ما أراد سبحانه، وإحياءه البلدة لعمارة البيت الحرام بالعبادة. كما أن من دلائل تمكن اليقين من قلبه بخاصة فيما ابتلاه الله عند أمره له بذبح ابنه اسماعيل - عليه السلام - الذي وصفه سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾^(٤) إذ أمره بذبح

(١) ابن قيم الجوزية، الروح، ص ٢١٨.

(٢) الرحيلي، التفسير الوجيز، تفسير قوله سبحانه: ((واعلم أن الله عزيز حكيم)).

(٣) سورة البقرة، آية (٢٥٨).

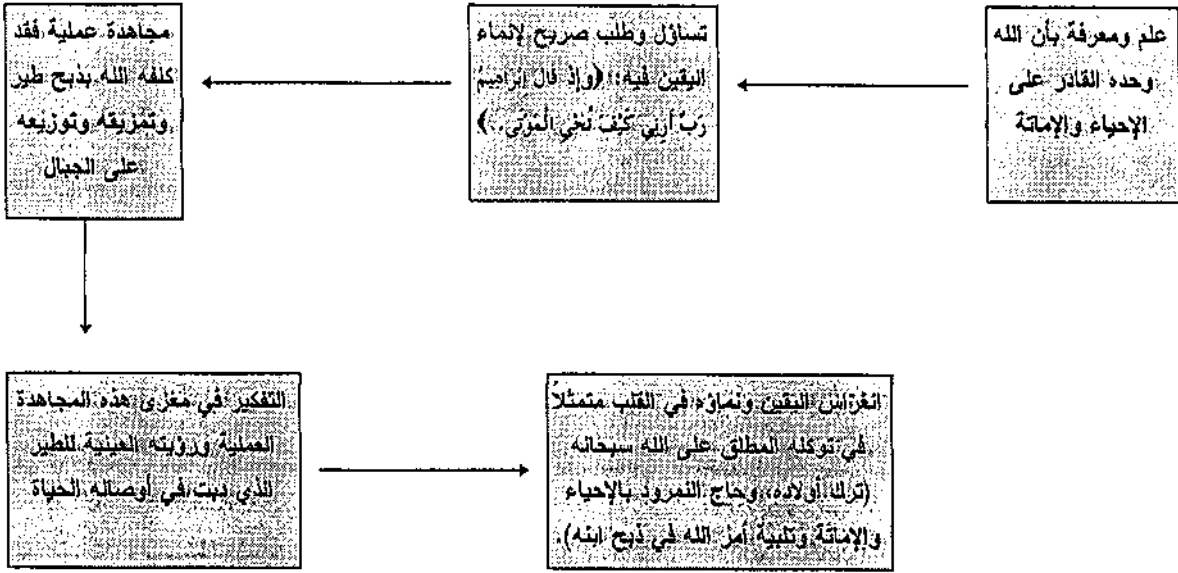
(٤) سورة الصافات، الآية (١٠٦).

ابنه الذي أتاه وهو شيخ كبير هرم فنجح في اختبار الله ليقينه الخالص وإيمانه الكامل^(١)، ليتضح أن الله وحده هو المهيم على شغاف القلب وهو اليقين المطلوب.

ثالثاً: المنهج المستخلص من قصة تربية الله لسيدنا إبراهيم عليه السلام على اليقين بقدرته سبحانه على الإحياء والإماتة

يمكن إجمال ما تم تحليله في المحاور السابقة في الشكل التالي، بحيث يتضح من خلاله الخطوات التربوية المكونة للمنهج المراد استخلاصه ومن ثم تحليله لاحقاً. وهذا الشكل كالآتي:

المنهج التربوي



(الشكل (٣) ويبين المنهج القرآني في تربية الله لسيدنا إبراهيم عليه السلام على اليقين بقدرته على الإحياء والإماتة)

ملحوظة: تنظر الملحوظة ص ٤٤.

المطلب الثاني: سيدنا العزيز عليه السلام الوارد ذكره في سورة البقرة وتربية الله له على اليقين بقدرته الله سبحانه على الإحياء والإماتة

هو الرجل الذي ورد ذكر قصته في سورة البقرة، بأنه مر على قرية خاوية على عروشها، فتساءل عن كيفية إحيائها من جديد، إذ ما عليها من تخريب ودمار ينبئ عن استحالة إمكانية الحياة فيها.

(١) الميداني، ابتلاء الإرادة، ص ٨٨.

وقد أطل العديدين من المفسرين تحقيقاً في هوية هذا الرجل، وهل هو نبي أم ولي صالح، وما اسم تلك القرية التي مر عليها، ومن الذي دمر تلك القرية حتى جعلها مستبعدة الحياة من جديد.

والباحث لا يرى ضرورة في تتبع ما أطنب فيه أهل التحقيق، سوى هوية هذا الرجل، ومعظم التفسير ترجح أن يكون الولي الصالح العزيز عليه السلام، الذي اتخذته اليهود إلهاً من دون الله -والعياذ بالله- قال عنه الإمام السالمي رحمه الله في جوهره - مرجحاً أن يكون العزيز لا غيره:

من الذي مر على القرية قد قيل عزيز وله شأن ورد إلى أن قال:

بل كذب اليهود في عزيز قالوا ابن ربي وهو أي جور بل الصحيح أنه وأبي وقال قوم إنه نبي^(١)

جاء عليه السلام بعد موسى عليه السلام بفترة، في وقت كان بنو إسرائيل يقتلون كل نبي يرسل إليهم، فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم، فخرج عزيز يسبح في الأرض فاتاه جبريل عليه السلام، فقال له: إلى أين تذهب، قال أطلب العلم، فحفظه التوراة فأملأها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفاً، فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام إلا لأنه ابنه^(٢) -والعياذ بالله- من افترائهم - الذي يعنينا أنه كان عليه السلام رجلاً صالحاً وولياً تقياً أكرمه الله بكرامة حفظ التوراة وهو غلام، وشاء الله أن يربيه بمنهجه القويم إثر تصرف بدر منه ينبئ عن احتياجه لتربية تربي اليقين فيه وترسخه، وقد تم ذلك في منهج توضحه النقاط التالية:

* كان من شد عنهم في ترجيح أن الرجل الذي مر على القرية الحاوية هو العزيز الطاهر بن عاشور إذ رجح أن يكون حزقيال ابن بوزي.

(١) السالمي، جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام، ج ٤، ص ٣٣٨.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ١٤٨.

أولاً: الآيات القرآنية التي عرضت المنهج القرآني المراد استخلاصه من قصة العزيز عليه السلام (الرجل الذي مر على قرية وهي خاوية)

الآيات القرآنية التي عرضت تلك القصة هي الآية (٢٥٩) من سورة البقرة:

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نَسَّيْنَاهَا ثُمَّ نَكُسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ثانياً: تحليل مبدئي ومجمل للمحاور العامة والرئيسية في هذا النموذج:

يمكن تحديد خطوات منهج تربية اليقين بقدرة الله على الإحياء والإماتة في هذا النموذج قصة الرجل الذي مر على قرية وهي خاوية، العزيز عليه السلام - من خلال ثلاثة محاور، وهي كالآتي:

المحور الأول: ما بدر من العزيز عليه السلام من تساؤل دالٍ على احتياجه لمزيد من اليقين على قدرة الله سبحانه على الإحياء والإماتة

إن المرء لا يجدر به التلطف بالألفاظ تنقص من قدر من ثبتت ولايته، وقوي قربه من ربه، تأديباً معهم لا تقديساً لهم، وإن كانت بعض التصرفات تضطر المرء الحكم عليهم بما يلفت النظر، فالمرء لا يرقى مقام من كانوا قد ربتهم اليد العلية، وخذل ذكرهم قرأناً ينلّ، كأناس أشيد بسلوكهم وصرح بنقواهم، شهادة من الله بعلو منزلتهم.

وعليه فالعزيز عليه السلام لا يرقى الحال أن يقال إنه على ارتياب وشك من قدرة الله على الإحياء والإماتة، فتلك الألفاظ قاذحة في حقه ما لم يصرح بها صراحة في القرآن الكريم، ولكن يقال: إن الله سبحانه وتعالى علم مدى حاجة العزيز عليه السلام إلى التربية بسبب ما بدر منه من قول شاء الله أن يتلفظ به العزيز، ويحكيه الله تعالى لنا تربية منه لهذه الأمة أيضاً- وإلا فهو عالم سبحانه بخفايا الصدور، والتساؤل الذي بدر منه الآتي:

﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا؟﴾

فهو عليه السلام قد مر على قرية قيل هي القدس وقيل دير هرقل في العراق وغير ذلك، مر عليها بعد تدمير وتخريب وقع عليه من قبل بختنصر في أوائل القرن السادس قبل المسيح عليه السلام، فتساءل: أنى؟ يعني من أي طريق، وبأي سبب، وذلك على سبيل التلهف على المدينة التي يعهد فيها الأهل والأحبة.

وأنى كان معنى التساؤل فإن الله سبحانه وتعالى شاء أن يربيه التربية التي لا يترك وراءها أي تساؤل موضحاً الله سبحانه له ولغيره أن آيات كتاب الله المقروءة - إذ أنه كما بينا يحفظ التوراة - ينبغي أن تقرأ بالقلب المتيقن، وتفسر بها أحداث الحياة، حتى ترسخ معانيها، وتثمر أهدافها، وأن أطف ما قيل في نوع التساؤل الذي بدر منه عليه السلام، هو أنه كان مستعظماً قدرة الله في إحياء القرية، لا مستبعداً لها، فالكفار هم المستبعدون لذلك^(١).

المحور الثاني: الكيفية التي تم بها تربية اليقين في قلب العزيز عليه السلام

إن القرآن الكريم يخبرنا أن الله سبحانه قد أمات العزيز عليه السلام مائة عام، ولم يبعثه إلا والقرية قد عمرت بالسكان والبنيان يقول جل شأنه في ذلك بعد تساؤل العزيز عن كيفية الإحياء:

﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾، أماته عن زوجه وابنه وأحبابه، اختفى مائة عام عن أهل بلده وذويه، كما أن الله سبحانه أمات حماره معه ليربيه آياته في الإحياء والإماتة والتي لا تفهم إلا برويتها بعين البصيرة لا الباصرة فحسب، فجعل سبحانه العزيز عليه السلام عبرة للمعتبرين، إذ حكى الله لنا ما أراه من آياته، كما حكى هو ما رآه لأهله وقومه، يقول سبحانه:

﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾.

لقد رأى عليه السلام منظرًا يثير النفس دهشة واستغراباً، منظرًا لا يدع مجالاً لأي تساؤل حول القدرة الربانية، فما رآه له وقع على القلب شديد، إنها المعاينة التي

(١) اطفيش، تيسير التفسير للقرآن الكريم، ج ١، ص ٤١٩.

يرقى بها اليقين^(١).

لقد رأى إحياء حماره بعد أن كان بالي العظام، فقد رأى مشاهدة كيف تدب الحياة أوصاله بعد أن تجمعت أعضاؤه، وإحياء طعامه بحفظه من التغير، فقد جمع الله له أنواعاً من الإحياء: إحياء جسده بنفخ الروح فيه، وإحياء طعامه بحفظه من التغير، وإحياء حماره بإعادة الحياة إليه، فكان بذلك آية عظيمة للموقنين بذلك^(٢).

يقول صاحب تفسير المقياس من تفسير ابن عباس ص ٣٧: إن الله تعالى جعله آية للناس من حيث إنه بعث في العمر الذي مات فيه؛ فقد بعث شاباً ابن أربعين سنة، وعمر ابنه الذي فارقه وهو صغير أصبح عمره مائة وثمانين سنة، عرفه بشامة يعهدا عليه بين كنفه، وقد ورد أنه لم يعرفه عندما بعث إلا امرأة عجوز عهدته بحفظ التوراة، كما عهدته أنه مكرم بإجابة الدعاء، فأكد لها ذلك لمسحه عليها فبرأت فأكدته وأخبرت الناس، فاخبروا حفظه للتوراة فصدقوه^(٣).

هذا وإن المجاهدة العملية في سبيل تربية اليقين تكمن في ذلك الخبر الثقيل وقعه على النفس المتضمن لإماتته مائة عام، وكاد أن تأخذه الحيرة في هذا الخبر لولا أن من الله عليه بروية ما يثبت ذلك، وإلا لوقع في أمر محير أشد من الأول. كما أن المشقة تكمن في كيفية مواجهته المجتمع، وتكذيب الناس له، خاصة وأنه جاءهم دون ظهور علامات الشيب عليه، إذ الابتلاء بالموت تلك المدة الطويلة كفيل بنسيانه من قبل أقرب الناس إليه، وهذه المدة المعينة والمحددة لم تذكر عبثاً، ولا بد أن تستوقف المتأمل بعض الوقت، فضلاً عن أن المشقة والمجاهدة تكمن في غياب ما كان يملكه كما أورد ذلك المفسرون - وفقد من كان يعز عليه.

إن المجاهدة العملية الحسية والنفسية في سبيل ترسيخ اليقين المطلوب، أثمر ينعها في العزيز عليه السلام كما سيأتي في المحور التالي.

المحور الثالث: من دلائل انغراس اليقين الذي تم تربيته في قلب سيدنا العزيز عليه السلام

إن مما يدل على تمكن اليقين في قلب العزيز عليه السلام هو ما حكاه الله سبحانه وتعالى عنه من إقرار صريح بقدرة الله سبحانه على كل شيء ومنه قدرته

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، تفسير الآية (٢٥٩) من سورة البقرة.

(٢) ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٣٦.

(٣) الطنيزي، تيسير التفسير، ج ١، ص ٤٢٤.

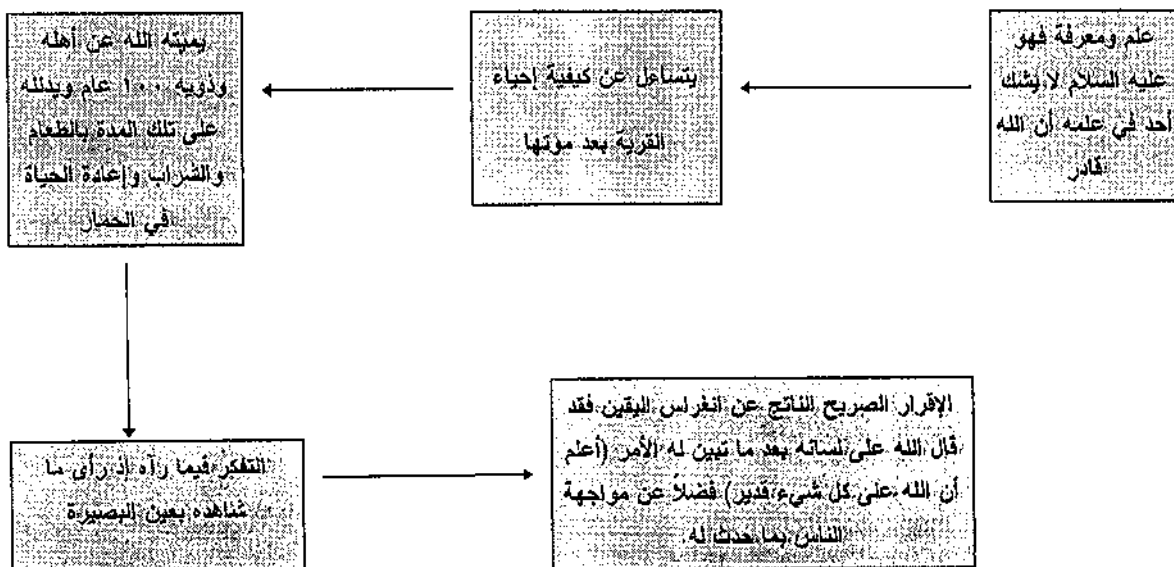
سبحانه على الأحياء والإماتة يقول الله سبحانه على لسانه عليه السلام بعد تبين الأمر له:

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي أعلم هذا الضرب من العلم، الذي لم أكن أعلمه على معاينة^(١)، فهو إقرار لفظي بيقينه الصادق، مترجماً هذا اليقين إلى عمل خالص يكمن في الإخبار دون تردد عما حدث له بالرغم مما في هذا الأمر من غرابة- وأكبر دلالة على قوة يقينه تقواه، لدرجة أن اليهود رفعوا من مقامه درجة لا تليق إلا بالذات الإلهية.

ثالثاً: المنهج المستخلص من قصة تربية الله لسيدنا العزيز -عليه السلام- تربيته على اليقين بقدرة الله على الأحياء والإماتة

يمكن إجمال ما تم تحليله في المحاور السابقة في الشكل والمخطط التالي، والذي يتبين من خلاله المنهج القرآني في تربية اليقين بقدرته سبحانه:

المنهج التربوي



(الشكل (٤) ويبين المنهج المستخلص من قصة تربية الله لسيدنا العزيز عليه السلام تربيته على اليقين بقدرة الله على الأحياء والإماتة)

ملحوظة: تنظر الملحوظة ص ٤٤.

(١) القرظي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ٢٩٦.

الذي قلب ميزان اعتقادهم وثقتهم فيه؟ أليس الله بكافٍ عبده؟!، بالأسباب التي ينبغي أن لا ترفع وبغيرها؟.

ومثال آخر نذكره القوة والعتاد العسكريان اللذان تتحصن بهما الدول بل وحتى الأفراد-، لدرجة يبلغ بها الحال إلى حد الزهو والتفاخر والغرور، معتقدة هذه الدولة أو تلك أن الحفاظ على كيانها وحماية مآثرها ومنجزاتها إنما يكون بتلك الأسباب وحدها، غائب عن الأذهان قدرة الله العلية، وأنه سبحانه بيده مقاليد الأمور وتصريفها، وأن الاستعدادات المادية كلها لا تعمل شيئاً ما لم يأذن لها الله.

إنه اليقين الذي ينبغي أن يعتقده المرء في خالقه بأنه خير حافظاً، وأنه لا يُعلى قدراً إلا هو، ولا يرفع شأناً إلا هو وحده، وإن اعتقد في سواه الحفظ والحماية، فهي لا تعدو أن تكون حفظاً وحماية نسبيتين مقابل الحفظ والحماية المطلقة.

إن الفرار من تأليه من سوى الله، لا يكون إلا بتقدير الله حق قدره، بأنه العظيم، وأنه الأكبر، تقديراً نابعاً من سويداء القلب وحنايا الصدر، لتخرج كلمة ملؤها المصادقية والإخلاص، كلمة إن وضعت في كفة، ووضعت السموات والأرض في كفة لرجحت تلك الكلمة الحقّة (لا إله إلا الله).

وسوف نقف في هذا المبحث وقفة تأمل مع من رباهم سبحانه على اليقين عليه وحده بأنه الحافظ ولا حافظ سواه من خلال تتبع مراحل تلك التربية، حتى يكون لنا في ذلك هدياً ونوراً؛ لنكون ﴿مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾^(١).

وممن رباهم سبحانه على ذلك النوع من اليقين، الآتي:

المطلب الأول: سيدنا يعقوب عليه السلام، وتربية الله له على اليقين بقدرته سبحانه على الحفظ والحماية

يعقوب عليه السلام هو ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، أبو نبي الله يوسف -عليه السلام-، ورد ذكره في القرآن الكريم في غير موضع من القرآن الكريم، وهو المسمى بإسرائيل في سورة آل عمران في قوله سبحانه: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ

(١) سورة النساء، الآية (٦٩).

كَانَ حَلًّا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ..»^(١)، وفي سورة مريم في قوله سبحانه: «أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ..»^(٢) إن أبناءه الذين تكفل برعايتهم فقد كان عددهم اثني عشر شخصاً منهم يوسف عليه السلام، وهم المعنيون في الآية التي وردت على لسان سيدنا يوسف عليه السلام وهو يقص رؤياه لأبيه يعقوب عليه السلام^(٣): «إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا..»^(٤).

ولا يشك أحد في قوة يقين سيدنا يعقوب عليه السلام بربه على أنه القادر على كل شيء، فهو نبي الله ومن أصفياه، ولكن ولأنه كذلك من المنزلة والقربى، فقد شاء الله سبحانه أن يطلعنا على شيء من تربيته له ليبين سبحانه أن الكمال المطلق لله وحده، وليعلمنا المنهج التربوي الذي تم به غرس اليقين في نفوس أصفياه.

ومما أطلعنا الله تعالى عليه من تربيته ليعقوب عليه السلام، على اليقين بقدرته تعالى على الحفظ والحماية. ويمكن إيضاح ذلك في النقاط التالية:

أولاً: الآيات القرآنية التي عرضت المنهج التربوي المراد استخلاصه من تربية الله تعالى لنبيه يعقوب عليه السلام (تربيته على اليقين بأن الله هو الحافظ وحده)

إن سورة يوسف الكريمة حافلة بالدروس والعبر، وإن مما استوقف الباحث في هذه السورة المنهج الذي ربي الله عليه نبيه يعقوب عليه السلام كما في:

قوله جل وعلا بعد أن حكى له ابنه الرؤيا:

«قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ»^(٥).

(١) سورة آل عمران، الآية (٩٣).

(٢) سورة مريم، الآية (٥٨).

(٣) نخبة من علماء السعودية، التفسير الميسر، ص ٢٤٧.

(٤) سورة يوسف، الآية (٤).

(٥) سورة يوسف، الآية (٥).

وقوله سبحانه على لسان أبنائه - عدا يوسف عليه السلام -:

﴿إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١).

وقوله سبحانه: ﴿قَالَ إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّلْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾^(٢).

وقوله سبحانه على لسان يعقوب عليه السلام عندما أراد إخوة يوسف أخذ أخيهما الثاني:

﴿قَالَ كُلْ أَمْنَكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٣).

وقوله سبحانه لأبنائه عندما وافق على طلبهم إرسال أخيهما الآخر:

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتِينِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ، وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَاذْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَمْتُمْ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾^(٤).

وقال سبحانه على لسان سيدنا يعقوب عندما رجعوا من غير أخيهما الثاني:

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يَوسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(٥). وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٦)، إلى قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٧).

(١) سورة يوسف، الآية (٨).

(٢) سورة يوسف، الآية (١٣).

(٣) سورة يوسف، الآية (٦٤).

(٤) سورة يوسف، الآيات (٦٦، ٦٧).

(٥) سورة يوسف، الآية (٨٣، ٨٤).

(٦) سورة يوسف، الآية (٨٦).

(٧) سورة يوسف، الآية (٩٦).

ثانياً: تحليل مبدئي ومجمل للمحاور العامة والرئيسة في هذا النموذج

إن المحاور العامة والرئيسة للمنهج الذي ربي الله به سيدنا يعقوب عليه السلام على اليقين به بأنه سبحانه خير حافظاً الآتي:

المحور الأول: ما بدر من يعقوب عليه السلام من تصرفٍ دالٍ على احتياجه إلى المزيد من التربية على اليقين بالله سبحانه

إن سيدنا يعقوب عليه السلام ليعلم أن الله سبحانه قادر على الحفظ والحماية ولكن القرآن الكريم حكى لنا تصرفاً وقع منه عليه السلام فيه دلالة على احتياجه لمزيد من التربية على اليقين على أن الله خير حافظاً. وهو فعل وتصرف لم يذكر في القرآن عبثاً، إنه أمر يتعلق بابنه يوسف عليه السلام وخوفه عليه من أن يصيبه أي مكروه، وحرصه الشديد على حفظه، حفظاً متولداً عن محبة زائدة في قلبه له، فقد منعه لذلك من أقرب الناس له، وهم إخوته. وقد أخبره بصريح العبارة عن ذلك ولا غضاضة في ذلك فهو حنو رجل كبير على ابن صغير قد لا يتسنى له الإحسان عليه لاحقاً، فضلاً عن أنه يحس بالأنس في قربه والوحشة والحزن في ابتعاده، خاصة من بعد ما تبين له من أمره ما تبين من خير وفضل.

إن الله جل شأنه كما اختبر وابتلى أباه إبراهيم من قبل في ابنه اسماعيل إذ أمره بذبحه فأنصاع لأمره طواعية إذ أنه قوي اليقين بربه، كذلك يختبره هو في ابنه، لكنه اختبار وابتلاء على سبيل التربية والتهديب كما سيأتي -، أثبت أبود إبراهيم عليه السلام أن لا مكان لأحد في القلب إلا الله سبحانه فحفظ له ابنه من الذبح إذ فداه الله بذبح عظيم، في حين وجد في قلب يعقوب عليه السلام ابنه وحبه له مع وجود عدد من البنين معه - فأخذه الله منه، ليعلمه ويربيه على أن الله هو كل شيء، وطاقة الحب ينبغي أن تفرغ كلها لله وحده، وأي محاولة لترسيخ مفهوم أن المرء قادر على الحماية والحفظ تعد فاشلة ما لم تكن مسندة بأكملها إلى الله سبحانه، وهو ما قاله يعقوب نفسه بعد التضحية والمشقة والمجاهدة التي حصلت والتي سنتبين في المحور الثالث.

ومجمل القول أن ما بدر من سيدنا يعقوب عليه السلام من تصرف عدّه الله كبيراً في حقه يكمن في قوله جل شأنه على لسانه عليه السلام وهو يصرح بشدة خوفه عليه حتى من إخوانه سهوا منه أن لا حافظ له منهم ومن شرهم الذي يتفرسه فيهم. يقول سبحانه: ﴿قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَلِّمَهُمُ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١).

فهو خائف عليه منهم أنفسهم وخائف عليه من أن لا يستطيعوا مراعاته وحفظه وحمائته من الذئب، يقول جل شأنه على لسانه رداً على بنيه عندما طلبوا منه يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي لَخِزْنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ (٢).

إنه إيكال تام إلى قوتهم ليكفلوه في رعايته وقت ذهابه معهم، وقد أثبتوا له شجاعتهم وأهليتهم حال مكرهم له-: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ (٣).

ففي هذه الآيات لم يذكر الله على لسانه ما يدل على إسناد الأمر إلى الله والتوكل عليه بخلاف ما سيأتي بعد التريية كما سيأتي-.

آيات بينات تنطق بالحق، تتحدث عن تشريف الله لخاصته من خلقه بتولييه نفسه تربيتهم على أنه هو وحده سبحانه المهيمن والقادر في هذا الوجود لا سواه. يثبت الله لنا بشريتهم سبحانه في تربيتهم لهم، بشريتهم والقصور الذي قد يعزيبهم كمخلوقين وذلك حتى لا يرفعهم أحد إلى درجة القداسة والتزيه المطلقين.

هذا وإن مما يجدر ذكره أن نبي الله يعقوب عليه السلام يعلم أن ابنه سيكون له شأنه الكبير الذي سيكرمه الله به، وقد صرح هو بذلك بعد أن فسر رؤيا ابنه فهو -عليه السلام أي يعقوب عليه السلام على علم بتأويل الرؤيا ومعرفة، وقد علم من تأويلها أن ابنه يوسف عليه السلام سيظهر عليهم (٤) يقول سبحانه على لسانه وهو

(١) سورة يوسف، الآية (٥).

(٢) سورة يوسف، الآية (١٣).

(٣) سورة يوسف، الآية (١٤).

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٩، تفسير الآية (٥) من سورة يوسف.

يخاطب ابنه: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبْرَارِكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١).

وتصرف بيدر منه عليه السلام يضاد أو ينافي ما قد علمه من حفظ الله لابنه وإكرامه له يعد في حقه عليه السلام كبيراً، كما يعد دليلاً على احتياجه إلى تربية اليقين الكامل على الله في قلبه وهذا الذي تم كما سنلاحظه فيما سيأتي:

المحور الثاني: الكيفية التي تمت بها تربية اليقين في قلب سيدنا يعقوب عليه السلام (المجاهدة العملية النفسية والجسدية)

إن التربية التي ربي الله بها أنبياءه في سبيل ترسيخ اليقين لم تكن مجرد قذف كلمات في روعهم فاليقين أسمى ما ينبغي أن يصل إليه المرء، إذ به تكون الأفتدة بعد رسوخه متقبلة ما يملى عليها من تعاليم - بل كانت في سبيل انغراسه وتربيته فيهم المشقة والتضحيات والمجاهدة العملية بالنفس والبدن - كما سيأتي بيانه -.

وسيدنا يعقوب ربي بمثل ما ربي عليه أقرانه من الأصفياء، على اختبار للعزيمة، وابتلاء لمكنونات الإرادة، وعلى تراجع عن أمور تعد في حقهم قصوراً ونقصاناً، فقد رباه سبحانه في سبيل ترسيخ اليقين في قلبه على أن الله وحده الحافظ، وذو القدرة المطلقة في ذلك، رباه بأسلوب لو لم ينفكر في معناه ويتأمل في الغاية منه ما استفاد منه، رباه بأن انتزع منه ابنه بمشيئة منه سبحانه وقدر، انتزعه وأبعده عنه حيناً من الوقت ليس بالقليل، فعانى عليه السلام ما عانى، بجانبه كإنسان، النفسي إذ الحزن الشديد عليه، والجسدي البدني إذ ابيضت عيناه، وفقد بصره.

ما الذي جناه يعقوب عليه السلام حتى يجازى بهذا الجزاء؟ إنه اليقين الذي يصعب استيعابه إلا بتلك المتاعب والمصاعب، بشرط أن لا تمر مثل تلك الأحداث مروراً عابراً دون تعقل فيها أو تفكير.

(١) سورة يوسف، الآية (٦).

إن أمراً يتذوق في سبيل الحصول عليه المرارة، وتُخرج في سبيل اكتسابه الأشواك من الجسد، لأمر عظيم شأوه، وعالٍ قيمته، وحرى بالمرء ما دام هكذا حاله أن يجتهد من أجل التشرف به واكتسابه.

المحور الثالث: من دلائل انغراس اليقين الذي تم تربيته في قلب سيدنا يعقوب عليه السلام (ثمره المجاهدة العملية)

إن سيدنا يعقوب عليه السلام يعلم ما يريد الله منه من تلك التربية العملية الشاقة على النفس والبدن، وقد وضع لنا سبحانه وتعالى ذلك الأمر لنا صراحةً على لسانه عليه السلام وهو يخبر أبناءه في نهاية القصة: «فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»^(١)، وقد قال لهم ذلك الأمر من قبل، بعد حجز يوسف لأخيه: «قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»^(٢)، إنها الثقة الكاملة بالله التي وقرت في القلب من أنه القادر وحده على حمايته -أي يوسف- وحماية أخيه، وحفظهما من أي مكروه، وقد قال عليه السلام ذلك صراحةً، وهم يتساومون في أخذ الأخ الثاني: «فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»^(٣). إنه نتاج التربية العملية المقبولة لأنها من الله وحده، والذي ثبت أمامه هذا، فقد بذل كل ما في وسعه للحفاظ على ابنه، ولكن الله أثبت له مشاهدة ويقيناً أنه سبحانه وحده خير حافظاً.

كذلك يكمن رسوخ اليقين ونماؤه في قلب سيدنا يعقوب خلال لجوئه إلى الله في كل أمر من أموره، كقوله: «قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ، وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَاذْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ» فهذه الكلمات العظيمة المستند فيها إلى الله سبحانه، والتي جاءت كلها في نهاية القصة لتبني أن التربية التي كمنت في المجاهدة العملية قد آتت أكلها، وأينعت ثمارها، وظلت حتى وافته المنية بتوفيق الله له-، وقد حكى لنا جل شأنه

(١) سورة يوسف، الآية (٩٦).

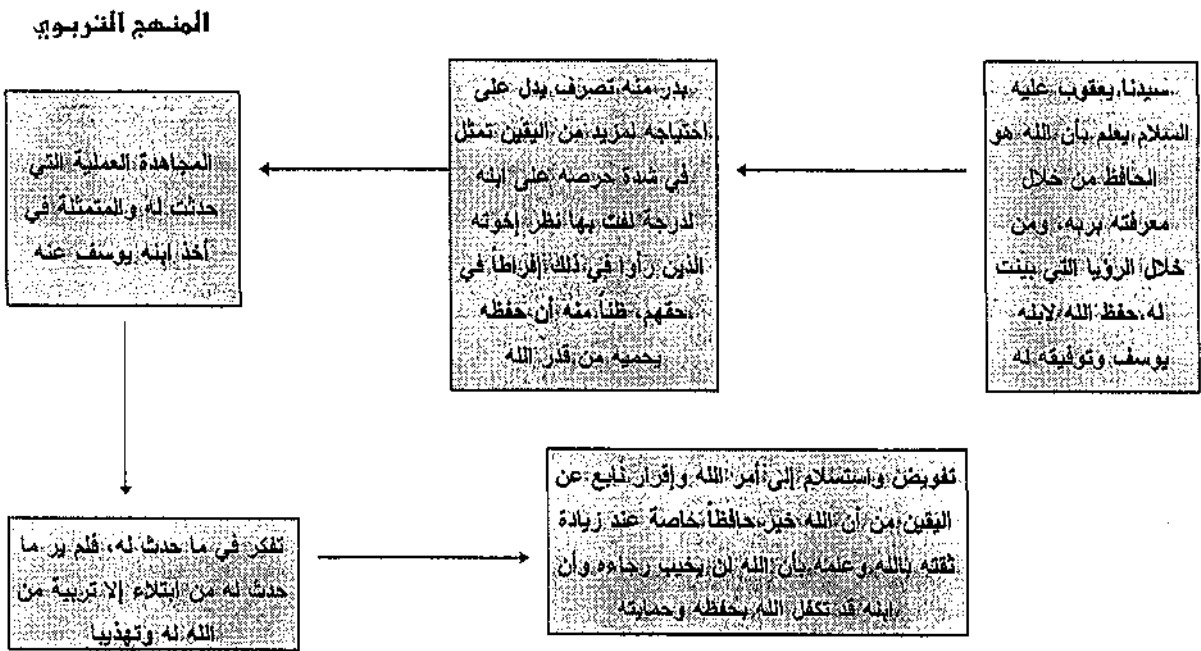
(٢) سورة يوسف، الآية (٨٦).

(٣) سورة يوسف، الآية (٦٤).

أنه حتى وهو في فراش الموت كان يسأل أبناءه سؤال اطمئنان على نجاح تربيته لهم من أن الله وحده هو المعظم وهو المعبود لا سواه: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

ثالثاً: المنهج المستخلص من قصة تربية الله لسيدنا يعقوب عليه السلام على اليقين بقدرة الله سبحانه على الحفظ والحماية

يمكن إجمال ما تم تحليله في المحاور السابقة في الشكل التالي، بحيث يتضح من خلاله المنهج التربوي المراد استخلاصه، -الذي سيتم تحليله لاحقاً- على النحو الآتي:



(الشكل ٥) ويبين المنهج الذي ربي الله عليه سيدنا يعقوب عليه السلام على اليقين بقدرة الله سبحانه على الحفظ والحماية

ملحوظة: تنظر الملحوظة ص ٤٤.

(١) سورة البقرة، الآية (١٣٣).

المطلب الثاني: سيدنا موسى عليه السلام وتربية الله له على اليقين بقدرته الله على الحفظ والحماية.

سيدنا موسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، ذكرت قصته عليه السلام في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، فقد ذكرت في ست وثلاثين سورة، وورد اسمه عليه السلام في القرآن الكريم (١٦٦) مرة.

إنه موسى بن عمران الذي كلمه الله سبحانه، ورفعته إلى مقام المخلصين الذين لا سبيل للشيطان عليهم يقول سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١)، وقوله ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٢).

وهو من برأه سبحانه من إيذاء قومه واتهامهم إياه، وشهد له بالوجاهة يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾^(٣)، وهو عليه السلام من أنزل الله عليه التوراة، وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل.

ورب العزة والجلال تكفل بحماية وحفظ سيدنا موسى عليه السلام وتربيته، يقول جل شأنه في معرض امتنانه عليه ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾^(٤) ويقول جل شأنه ﴿يَا مُوسَى، وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾^(٥) فهو من المصطفين المقربين، شكلته وربته القدرة الإلهية ليكون كذلك ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾^(٦).

وقد بين لنا سبحانه في كتابه الكريم جانباً من جوانب تربيته له وتهذيبه إياه، وتربيته له على اليقين التام به سبحانه بأنه جل وعلا ذو القدرة المطلقة بما فيها قدرته سبحانه على الحفظ والحماية، كما أن هناك جوانب أخرى ربي الله سبحانه

(١) سورة النساء، الآية (١٦٤).

(٢) سورة مريم، الآية (٥١).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٦٩).

(٤) سورة طه، الآية (٣٩).

(٥) سورة طه، الآيتان (٤٠، ٤١).

(٦) سورة الأعراف، الآية (١٤٤).

عليها نبيه موسى عليه السلام منها تربيته له سبحانه على أنه جل وعلا جاعل في هذه الحياة فوق كل ذي علم عليماء، وأن ذا العلم المطلق هو وحده سبحانه، وهذا المبحث ليس هو محل بسط لتربيته عليه السلام على اليقين بأن الله هو العالم يهب علمه لمن يشاء، وقد جاءت تلك التربية بسبب ما ظهر من موسى عليه السلام من تصرف دال على احتياجه لمزيد من اليقين. وسوف يتناول هذا المبحث جوانب وخطوات المنهج الذي رباه الله سبحانه وتعالى عليه حتى تم ترسيخ اليقين فيه.

إن موسى عليه السلام نبي مرسل من عند الله سبحانه، وإنه على علم ومعرفة بالله سبحانه من أنه جل وعلا ذو القدرة المطلقة على الحفظ والحماية وعلى غيرها من جوانب القدرة الأخرى، وإن مما يتضح للمرء من خلال دراسته لقصة سيدنا موسى عليه السلام في القرآن الكريم من أمور ظاهرها الريب والشك، ينبغي أن تحمل على غير ذلك كما أسلفنا تأدياً معه عليه السلام وصيانة لتلك الألسن التي تكب بسببها الأنفس في نار جهنم -والعياذ بالله- إذا ما استنقصت من قدر الآخرين، فكيف بقدر النبيين والمرسلين.

وسيدنا موسى عليه السلام بدر منه ما يدل على حاجته لمزيد من اليقين، مما دفع القدرة الإلهية أن تتدخل لتوجيهه، وشاء الله أن يخبرنا بذلك إرشاداً لنا وتهذيباً وتوجيهاً.

أولاً: الآيات القرآنية التي عرضت المنهج التربوي المراد استخلاصه من تربية الله سبحانه لموسى عليه السلام على اليقين بقدرة الله سبحانه على الحفظ والحماية.

يقول جل شأنه واصفاً لنا حالة موسى عندما رأى تحول العصا إلى ثعبان ضخم:

- «وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ» [القصص: ٣١].

- «وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَئِي تَخَفَ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيْ الْمُرْسَلِينَ» [النمل: ١٠].

- ويقول سبحانه مخبراً ومذكراً له حفظه وحمايته من قبل:

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى، إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَى، أَنْ اقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي، إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَرَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِتِّينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَى، وَاصْطَلَعْتَكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٣٧-٤١].

ويقول سبحانه مبيناً كيفية وصول خبر تأمر فرعون على قتله عليه السلام: فقد جاءه عليه السلام رجل من آل فرعون يكتُم إيمانه، فقال له: ﴿يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠].

- ويقول سبحانه عن شدة يقينه عليه السلام على ربه:

﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ وذلك بعد أن قال له قومه ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ فقد كان البحر أمامهم والعدو وراءهم.

- ويقول في تذكيره قومه بأن من نجاهم هو سبحانه وتعالى وحده:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ ... [إبراهيم: ٦].

ثانياً: تحليل مبدئي ومجمل للمحاور العامة والرئيسة في هذا المنهج
المراد استخلاصه:

يمكن تحديد المنهج مبدئياً في المحاور التالية:

المحور الأول: ما بدر من سيدنا موسى عليه السلام من تصرف دال على احتياجه إلى غرس مزيد من اليقين بقدرة الله على الحفظ والحماية

بالرغم من معرفة سيدنا موسى عليه السلام لربه وعلمه به بأنه سبحانه على كل شيء قدير، - لكننا نجد إفصاحه بصريح العبارة عن خوفه من فرعون من أن يقتله وجنوده، قال ذلك في وقت رأى فيه عياناً ما حدث للعصى التي يحملها، يقول سبحانه في ذلك ﴿وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا لَّمْ يَعْقِبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبَلْ

وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿١﴾.

فالبرغم من أنه رأى ما رأى من الآيات الجسام الدالة على قدرة الله والكفيلة بإزالة أي تخوف ممن سواه سبحانه، نجده لا يزال متوجساً خوفاً من المخلوقين، وهذا بطبيعة الحال ما لا يرضاه سبحانه من أي عبد مخلص، فكيف بمن أراد اصطفاؤه برسالته وبكلامه.

ولذلك كانت التربية الربانية له، وهو ما يزال في شاطئ الواد الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة، وهي تربية تنصب على إزالة الهواجس النفسية والمخاوف التي تساوره من المخلوقين والدالة على احتياجه لتربية تنمي فيه اليقين التام على أنه جل وعلا القادر على حفظه وحمايته، وتلك التربية معززة للمعجزة التي رآها والتي لا شك أنها أزلت جانباً من المخاوف التي كان يشعر بها عليه السلام من فرعون وملئه.

المحور الثاني: الكيفية التي تم بها تربية اليقين في قلب موسى عليه السلام:

إنه لما لم تنزل آية تحول العصا إلى ثعبان وعودتها إلى عصا مرة أخرى الخوف من نفسه كاملاً، ولم تنزل آية اليد التي تخرج بيضاء، والتي تثبت معية الله سبحانه وتعالى له، لم تنزل هذا الهاجس النفسي، بالرغم من رؤيته لهما عياناً. فقد كان كلام الرجل الناصح من قوم فرعون شديداً وقعه بالرغم من مرور عشر سنوات ﴿يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (٢).

رباه الله سبحانه بتذكيره تاريخ حياته منذ ولادته، ليأخذ بجوامع لبه وفكره أنه هو سبحانه وحده الذي ينبغي أن تفرغ فيه طاقة الخوف لا غيره، الخوف منه وحده سبحانه لا من سواه، مخبراً له سبحانه من خلال إعادة سجل الأحداث، بأنه جل وعلا القادر على حفظه وحمايته، فأخبره مذكراً له امتثانه عليه بالحفظ والحماية والتوفيق، ابتداء من وقت ولادته وتوجس أمه الخوف عليه لدرجة أنها كادت أن تبدي به لولا أن ربط الله على قلبها لتكون من المؤمنين، فحماه الله عن نظر قوم فرعون في بيتها، وحماه وهو في التابوت في اليم، إذ ألهمها الله فعل ذلك، وحماه من كيد

(١) سورة القصص، الآية (٣١).

(٢) سورة القصص: (٢٠).

فرعون وهو في قصره، والخوف الشديد الذي انتاب أمه يزيله بإلهامه لها، وإثبات وعده لها فيه برده إليها للقيام بشؤونه بنفسها يقول سبحانه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَبَدَأَ حِفَّتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِّنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١)، فأزال الله خوفها بأن أرجعه إليها ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾^(٢).

وتلك المشاهد كلها يذكر الله سبحانه وتعالى بها موسى قبل انطلاقه إلى فرعون، يذكره بأن الله على كل شيء قدير، فكما حفظه وهو صغير سيحفظه ويحميه من بطش فرعون وهو كبير، فليتيقن ذلك وليعلم أنه هو الأعلى إذا ما تيقن ذلك، لأنه لن يخضع لأي مخلوق تذلاً، بل إن خضوعه المطلق سيكون له وحده. مذكراً له أن من أزال المخاوف السابقة الذكر من خوف أمه عليه، وخوف أخته، وخوف امرأة فرعون عليه، وخوف الرجل الناصح الذي حذره وخوفه هو نفسه على نفسه من كيد فرعون، ومن العصا التي رآها تهتز كأنها جان، فمن أزال تلك المخاوف وحماها منها قادر أن يحميه ويحفظه مما هو متوجس منه وخائف إلى ما شاء الله.

إن محناً كثيرة مر بها موسى عليه السلام، محناً نفسية وبدنية، ابتلاءات من الله سبحانه، تجعله مؤهلاً لما هو قادم عليه من أمر عظيم، عبء حمل الرسالة، المحتاجة إلى الصفوة من الرجال، أحداث جسام مر بها شاء الله أن يذكره بها ليتيقن أن وراء كل ما مر به قدرة لا تقهر وقوة لا تبارى، أن له أن يتفكر فيها ملياً، ويسندها برمتها إلى الله جلت قدرته، وتعالى عظمته. ويتذكر فضل الله عليه بعد تذكيره به زالت هواجس الخوف إلا قليلاً إذ أنه وكما يخبر الله عنه ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ﴾^(٣) لكنه ما لبث أن تلاشى كلية بعد رؤيته عصاه مرة أخرى - وهي تلتهم بقدرة الله ما صنعه قوم فرعون من سحر.

وبنلك الأحداث الشاقة التي مر بها، وتذكير الله له بها، وبما لم يكن يعهده من قبل، كل هذا وذاك له دوره الكبير في غرس اليقين وتتميته بشرط تذكيره والنفكر فيه.

(١) سورة القصص، الآية (٧).

(٢) سورة طه، الآية (٤٠).

(٣) سورة طه، الآية (٦٧).

وسيدنا موسى عليه السلام قد ربته القدرة الإلهية على اليقين بقدرة الله بشتى جوانبها بما فيها القدرة على الحفظ والحماية، ولنا في القرآن دلائل تثبت لنا مدى قوة انغراس اليقين عنده بالله سبحانه وتعالى وقدرته، وهو موضوع المحور التالي.

المحور الثالث: من دلائل انغراس اليقين في قلب سيدنا موسى عليه السلام اليقين على أن الله سبحانه خير حافظ

إن الصناعة الربانية لموسى عليه السلام التي تخوله العيش تحت أي يد كانت، يد عدو أو صديق، قريب أو بعيد، تخوله العيش وهو سعيد البال، مطمئن النفس، تلك الصناعة قد أثمرت في قلب موسى، وقد حكى لنا القرآن الكريم شيئاً من تلك الثمار، ثمار التربية على اليقين بأن الله هو وحده القادر على الحفظ والحماية.

يقول جل شأنه على لسانه عليه السلام وهو يرد على قومه إثر قولهم له ﴿إِنَّا لَمُنْذِرُونَ﴾، إذ أن جنود فرعون يتبعونهم، وهم يحاولون الخروج عنهم، ولما لم يكن أمامهم إلا البحر، فالنهاية في نظر قوم موسى يرونها حتمية، ولكن سيدنا موسى عليه السلام القوي يقيناً، الخالص إيماناً، يقول لهم كما قال الله على لسانه ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، يقول ذلك وكله يقين بالله سبحانه بتكفله حفظهم وحمايتهم، فهو سبحانه من أوحى إليهم بالخروج، وما دام قد أمرهم سبحانه بذلك فهو لن يسلمهم له، يقول جل شأنه ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى﴾ (١).

ومشهد آخر في القرآن الكريم، يخبرنا عن مدى رسوخ اليقين بأن الله هو الحافظ، وهو من يحمي ويصون من يريد له الحماية والصون، إنه مشهد تذكير موسى عليه السلام قومه بأن من نجاهم وحماهم وخلصهم من الجبر والقهر والذل هو الله سبحانه، يقول جل شأنه على لسانه عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبِخُونَ أَنْبَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ

(١) سورة طه، الآية (٧٧).

نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١﴾.

إنه اليقين الكامل والتام عليه سبحانه، الذي يريده ممن اختاره لحمل الرسالة، فتظافر هذا الجانب الوجداني من التربية، مع جوانب أخرى، منها جانب التربية على الصبر وتحمل المشاق من خلال رعيه للغنم في مدين.

يقول الشيخ سعيد حوى في تفسيره في شأن تربية موسى عليه السلام الشاقة عليه كرجل عاش حياته متعمداً في القصور:

(وقلوب أهل القصور مهما تكن مستعدة للتضحية بما اعتادته من الخفض والدعة والمنة، لا تصبر طويلاً على الخشونة والحرمان والمشقة عند معاناتها واقع الحياة، فشاءت القدرة الإلهية أن تنقل موسى عليه السلام مما اعتادته نفسه من تلك الحياة، وأن تزرع به في مجتمع الرعاة، وأن تجعله يستشعر النعمة في أن يكون راعي غنم يجد القوت والمأوى بعد الخوف والمطاردة والمشقة والجوع. وأن ينزع من حسه روح الاشمزاز من الفقر والفقراء، وروح التأفف من عاداتهم وأخلاقهم وسذاجتهم، وروح الاستعلاء على جهلهم وفقيرهم وورثاة هيئتهم، ومجموعة عاداتهم وتقاليدهم، وأن تلقى به في خضم الحياة كبيراً، بعدما أُلقت به في خضم الأمواج صغيراً ليمرن على تكاليف دعوته قبل أن ينلقاها) (٢).

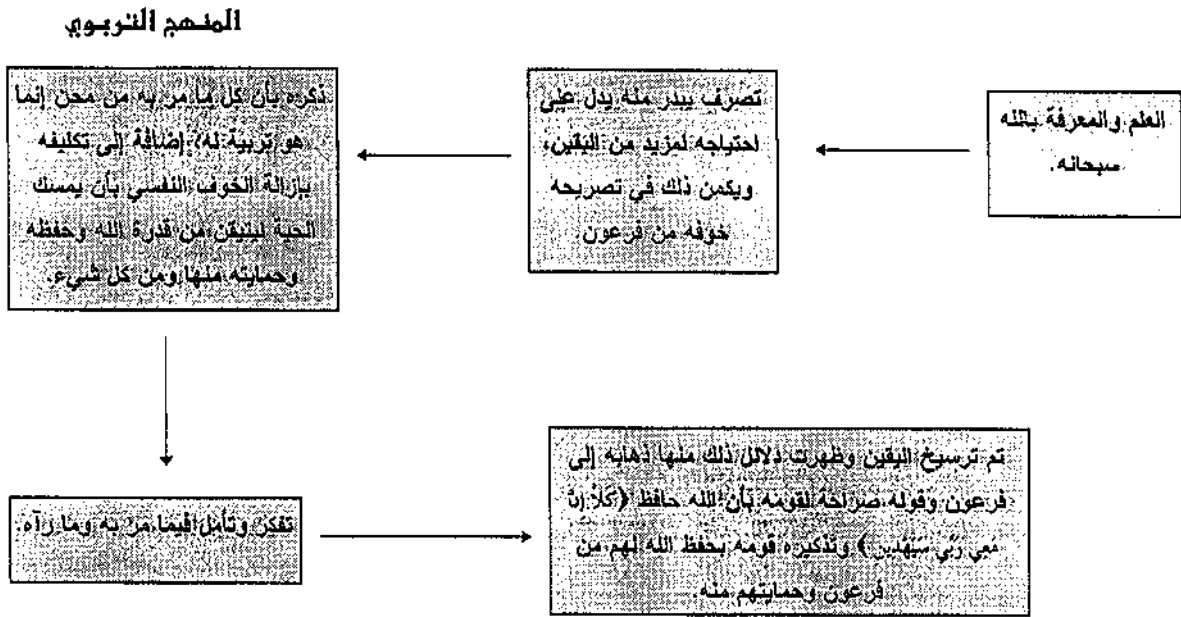
فالمشقة والمجاهدة هي التي تربي الرجال وتصلق معادتهم، وتنمي الجوانب الخيرة الكامنة فيهم، لتصبح من متكلف فيها ومتصنع إلى سجية وطبع لا يتزعزع ولا يتزعزع.

(١) سورة إبراهيم، الآية (٦٠).

(٢) حوى، الأسس في التفسير، المجلد السابع، ص ٤٠٨، ٤٠٨١.

ثالثاً: المنهج المستخلص من تربية الله لسيدنا موسى عليه السلام على اليقين بقدرة الله على الحفظ والحماية.

يمكن إجمال المنهج المستخلص في الشكل التالي:



(شكل -6- ويبين المنهج التربوي الذي ربي الله عليه موسى عليه السلام، رباه على اليقين بقدرته سبحانه على الحفظ والحماية).

ملحوظة: تنظر الملحوظة ص ٤٤.

المبحث الرابع: نماذج من تربية الله على اليقين بقدرة على النفع والضرر

تمهيد:

إن الله سبحانه هو القادر وحده على النفع والضرر، وقد حكى لنا عن ذلك في محكم التنزيل، منها قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)، وقوله جل وعلا: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^(٢).

كما أن هناك أحاديث شريفة تنزه الله سبحانه من أن يكون معه شريك في عظمته وقدرته سبحانه جل وعلا، ولذلك لن يكون الاستناد في كشف كربة من الكربات إلا إليه، ولا إلى جلب منفعة لمحتاج إلا إليه وحده.

ومن كمال وحدانية الله، بل وأساس من أساسياتها الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه هو القادر على دفع الضرر وجلب النفع، اعتقاداً يظهر مترجماً في سلوكيات المرء المعتقد بذلك ومعاملاته.

والاعتقاد الجازم في أن الله وحده من بيده النفع والضرر يدعيه الكثير، ولكن ما أن يمحسوا، حتى تظهر حقيقة هؤلاء المدعين، ولم يبق محق في ذلك إلا القليل. فالاعتقاد بأن الله هو النافع والضرار يتنافى مع إشراك كثير من الناس، قصدوه أم لم يقصدوه، والتي يكمن منها في تعظيم المخلوق باللجوء إليه والاتكال المطلق عليه، كطلب التوسط له في أمر ما طلبا يعتمد فيه عليه الاعتماد المطلق والجازم، مع إبعاد الذهن حينها قدرة القادر سبحانه على ذلك.

(١) سورة الأنعام، الآية (١٧).

(٢) سورة النمل، الآية (٦٢).

والأنبياء عليهم السلام هم أكثر الناس معرفة بربهم جل وعلا، ولكن ما إن يندر منهم ما ينافي تلك المعرفة، إلا وأخذ ربهم بأيديهم في سبيل ترسيخ تلك المعرفة وتشبيتها في قلوبهم، ليمثلوا الدين الكامل في حياتهم بعد ذلك قلباً وقالباً.

وممن رباهم سبحانه على اليقين التام بقدرته على النفع والضرر الآتي:

المطلب الأول: سيدنا يوسف عليه السلام وتربية الله له على اليقين بقدرته سبحانه على النفع والضرر.

لقد أكرم الله سبحانه وتعالى سيدنا يوسف بأن جعله من سلالة الأنبياء، فهو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم -عليهم السلام- فهو الكريم بن الكريم بن الكريم، كما أكرمه الله سبحانه بالحسن والجمال الخُلقي والخُلقي مما دفع ضعيفات القلوب إلى الافتتان به كما قص لنا ذلك القرآن الكريم.

سيدنا يوسف عليه السلام ممن امتن الله عليه بالاجتباء وتأويل الرؤيا، ووهبه النبوة، وقد رزق مقام المخلصين والمحسنين لترقيته في العبادة والطاعة لله جل وعلا، كما وصل إلى مرتبة عزيز مصر، سائساً للمجتمع بالحكمة والعدل.

ورب العزة والجلال عندما يريد اصطفاء شخص لرسالته، يربيه على ما يؤهله لبلوغ ذلك، تربية تجعل منه ذا الرأس الشامخ عزة وكبرياء، تواضعاً وإخلاصاً، معرفة بالله وبقيناً. وسيدنا يوسف عليه السلام ممن رباه الله على أنه سبحانه القادر وحده على النفع والضرر، رباه بعد ما بدر منه ما يدل على احتياجه لهذا النوع من التربية، وقد أخبرنا بهذا الأمر في القرآن الكريم، كما أخبرنا بأسلوب التربية ونتائجها فيه عليه السلام.

-وكما أسلفنا- لا نعد مثل تلك الأمور هبات وفتات أو سقطات موجبة للسخط والاستنقاص، كلا بل هي ما يستدل منها على عظمتها وارتفاع قدره عند ربه إذ يلفت نظره إلى أمور قد يراها المرء شيئاً لا يعبأ به، بل غيره قد يكون غير مؤاخذ عليها.

ويمكن توضيح ما بدر منه عليه السلام ليربى التربية التي جعلت منه موقناً
بربه حق اليقين، كالاتي:

أولاً: الآيات القرآنية التي عرضت المنهج التربوي المراد استخلاصه من
تربية الله ليوسف عليه السلام على اليقين بقدرة الله سبحانه على
النفع والضرر.

سورة يوسف هي التي عرضت ذلك المنهج، إذ أن قصته عليه السلام ذكرت
بأكملها في السورة التي تحمل اسمه عليه السلام. وآيات المنهج المراد استخلاصه
الآتي:

- من الآيات الدالة على علو منزلته عند ربه، ومعرفته به قبل أن يبدر منه ما
يدل على احتياجه للتربية:

١ - إخبار نبي الله يعقوب له بذلك:

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ
كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١).

٢ - استجابة الله لدعائه من كيد النسوة:

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٢).

٣ - نصحه لصاحبيه في السجن بعد تأويله الرؤيا لهما:

﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا
أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

(١) سورة يوسف، الآية (٦).

(٢) سورة يوسف، الآية (٣٤).

(٣) سورة يوسف، الآية (٣٩).

- الآية الكريمة الدالة على أنها أوجبت تربيته على اليقين بالله، وتربيته عملياً بسبب ذلك:

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾^(١).

- الآية الكريمة الدالة على انغراس اليقين بالله في قلبه عليه السلام:

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّجْنِ﴾^(٢).

ثانياً: تحليل مبدئي ومجمل للمحاور العامة والرئيسة في هذا المنهج المراد استخلاصه:

يمكن تحديد المنهج المراد استخلاصه في المحاور الآتية:

المحور الأول: ما بدر من سيدنا يوسف عليه السلام من تصرف دال على احتياجه لمزيد من تربية اليقين فيه.

إن سيدنا يوسف عليه السلام قد تربى في مهد النبوة، ونهل من علم الله الذي علمه أباه أبوه يعقوب عليه السلام، خاصة وأنه كثير الاتصال به، وقد تفرس أبوه فيه الخير والصلاح، وصرح له بذلك مبشراً له بعد قصه الرؤيا عليه، إذ قال الله جل شأنه على لسان يعقوب عليه السلام مخبراً ابنه يوسف عليه السلام بتلك البشارة العظيمة: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُمِئُّ بِعِظَتِهِ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٣).

ولما لسيدنا يوسف عليه السلام من منزلة عند ربه، فإنه جل وعلا لا يرضى له أي فعل فيه نوع من الخضوع لغير الله، فمن تمام الإخلاص وكمال الاعتماد على الله وحده، ولأن المرء أياً كان بحاجة إلى توجيه وتربية لصقل شخصيته ليكون في خير حال وأنسب مقام، فقد تكفل الله بتفرد في تربية وتهذيب الأنبياء عليهم

(١) سورة يوسف، الآية (٤٢).

(٢) سورة يوسف، الآية (١٠).

(٣) سورة يوسف، الآية (٦).

السلام وصفوته من خلقه، ومنهم نبي الله يوسف عليه السلام. وقد حكى لنا جل شأنه التصرف الذي بدر منه، والذي أعلن القرآن عنه صراحة، والذي استوجب بسببه التربية والتأديب.

وما بدر منه عليه السلام يستشف من قوله عليه السلام لصاحبه الذي علم بخروجه من السجن، وبلوغه مقاماً مقرباً من الملك، قوله كلاماً ينبئ عن اعتماده على المخلوق، ولكن الله لا يريد منه ذلك، حفاظاً على كرامته من أن يتوسل لإنسان في الخلاص من أمر قدره الله له، معلماً إياه بأنه قادر وحده جل وعلا على إخراجه مما هو فيه من مأزق -السجن ظلماً- يقول جل شأنه على لسانه عليه السلام وهو يطلب العون ممن تأكد له خروجه من السجن ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾^(١) أي صفني عند الملك بصفتي، وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة^(٢)، فقد اعتمد على الشرايبي ساقى الملك بأن يتوسط له في إخراجه، معتقداً عليه السلام فيه النفع، فقد كانت بينهما ألفة اكتشف الشرايبي (ساقى الملك) من خلالها خلق يوسف عليه السلام الجدير بالألا يكون في السجن، فهو يبدو عليه الإحسان والخلق الكريم ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٧٨]، ومن كانت هذه صفاته لا ينبغي أن يقدر في خلقه أبداً، فكيف وهو الناصح لهم في السجن، والمكرم بمعرفة تأويل الرؤيا التي رأى ساقى الملك تحققها عياناً في صاحبه وفيه شخصياً.

شاء الله سبحانه أن يرسخ في قلب يوسف عليه السلام مفهوم القدرة الإلهية المنفردة في النفع والضر لا سواها، وأن الاعتماد على ما سوى الله غير مجد وإن كان له من اليد عليه ما عليه من المعروف والإحسان، فلا ينبغي التيقن من نفع المخلوق أو ضرره، فهو مخلوق مسير، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً. كما قال جل شأنه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾^(٣).

وأسلوب تربية الله له عليه السلام تكمن في استيعاب القلب لما حدث له وللبدن من مشقة. يمكن تحديدها في المحور التالي.

(١) سورة يوسف، الآية (٤٢).

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٣٥٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية (١٨).

المحور الثاني: الكيفية التي تمت بها تربية اليقين في يوسف عليه السلام على أن الله هو من بيده النفع والضرر.

بعد أن أخبرنا جل شأنه من أن يوسف عليه السلام المنعم عليه بفيض الإكرام ابتداء من حفظ الله له وهو في غيابة الجب، ومن ثم حفظه من كيد النسوة، المتبين له عليه السلام يقيناً أن النافع له في كل تلك الأحوال هو الله وحده، من بعد أن أخبرنا سبحانه عن كل ذلك يخبرنا سبحانه باستناده عليه السلام في لحظة من لحظات عمره إلى مخلوق مثله وهو ما بيناه في المحور السابق.

ولكن ما إن أخبرنا سبحانه عنه ما ينبئ عن تصرفه أو قوله قولاً لا يليق بمقامه، إلا ويخبرنا سبحانه بتدخل المشيئة الربانية والقدرة الإلهية في الحد من تحقيق طلبه وتنفيذه، فقد أنساه الشيطان ذكر ربه، أي أنسى الشيطان ساقى الملك من أن يخبر الملك عن شأن يوسف السجين ظلماً، فظل عليه السلام سجيناً فترة أخرى من الوقت ليست بالقصيرة يقول جل شأنه في ذلك «وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ» (١).

فسيدنا يوسف كان يريد الخروج من السجن، وساقى الملك من بعد معرفته له وخبرته به كان يريد إخراجه من السجن، ولكن شاء الله أن يخرس اليقين في قلب يوسف عليه السلام بأن الله يفعل ما يريد، وأن من يستند إليه وحده هو الله سبحانه، فيطلب منه المراد، ويتوسل إليه بالتضرع.

وقد علم يوسف عليه السلام بعد تفكره في تلك المشقة، وهو مكثه بضع سنين في السجن مع ما فيها من مرارة الانتظار، إذ يتوقع خروجه لحظة بعد أخرى، فهو معتمد على أقرب المقربين، ساقى الملك، علم أنها تربية عملية لما بدر منه، رضي بها عليه السلام، وأخبر بها معترفاً بتربية الله له ونفعه إياه، أخبر بها أباه وهو يقص عليه أمره بعد اجتماعهم معه في مصر. وإقراره عليه السلام يقيناً بأنه جل وعلا هو النافع له وحده، ومن عداه مهما توقع منهم النفع لم ينفعوا ما لم يكتب الله له ذلك النفع منهم.

(١) سورة يوسف، الآية (٤٢).

المحور الثالث: من دلائل انغراس وتربية اليقين في قلب سيدنا يوسف عليه السلام اليقين على أن الله هو النافع والضار.

لقد ربي الله سبحانه صفيه ونبيه يوسف عليه السلام، رباه على اليقين عليه وحده جل وعلا، وقد وضحنا في المحاور السابقة جانباً من جوانب تربيته له، جانب تربيته على أن الله هو النافع والضار. وقد أثمرت تلك المجاهدة العملية التربوية التي تم غرس اليقين بها، بعد التفكير فيها، أثمرت ثمرة قالها يوسف عليه السلام نفسه وهو يقص قصته على أبيه. يقول جل شأنه على لسانه:

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١).

إن أمر خروجه من السجن يسنده إلى مشيئة الله وقدرته سبحانه، من بعد تيقنه بعدم جدوى أي مخلوق، فمتى شاء الله نفعه بالخروج خرج، وكان خروجه بسبب الرؤيا التي شاء الله أن يريها الملك لتكون سبباً في تذكيرهم به وإخراجهم له. إنه اليقين الذي كمل في قلبه عليه السلام والذي تمثل في توجيهه بكليته إلى الله شاكراً ومتضرعاً بما منَّ عليه من نفع.

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (٢).

نفعه الله بكل ما هو فيه من خير من بعد أن تكالب عليه أناس حاولوا منع الخير عنه، بل وضره، بالرغم من أنه لم يبدر منه ما يسوءهم، وإساءة أبيهم على فرض تصورهما ليس هو المسئول عنها - إن وصفت المحبة له بالإساءة -، وتكالب الناس عليه في السوق لشرائه ذليلاً في نظرهم -، وتكالب النسوة كذلك لضره دنيا وأخرى، لم يكن ليوسف عليه السلام في تلك المحن إلا الله وحده وكفى به سبحانه هادياً ونصيراً. لقد تيقن عليه السلام أن الله وحده هو الذي ينبغي أن يعتمد المرء عليه، يقيناً يوصل المرء إلى كمال التقوى وتتمام الالتزام وهو ما قاله لإخوته: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣)، وذلك بعد إسناده ما هو فيه من خير ومنفعة إلى الله وحده ﴿قَالُوا أَتِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ

(١) سورة يوسف، الآية (١٠٠).

(٢) سورة يوسف، الآية (١٠١).

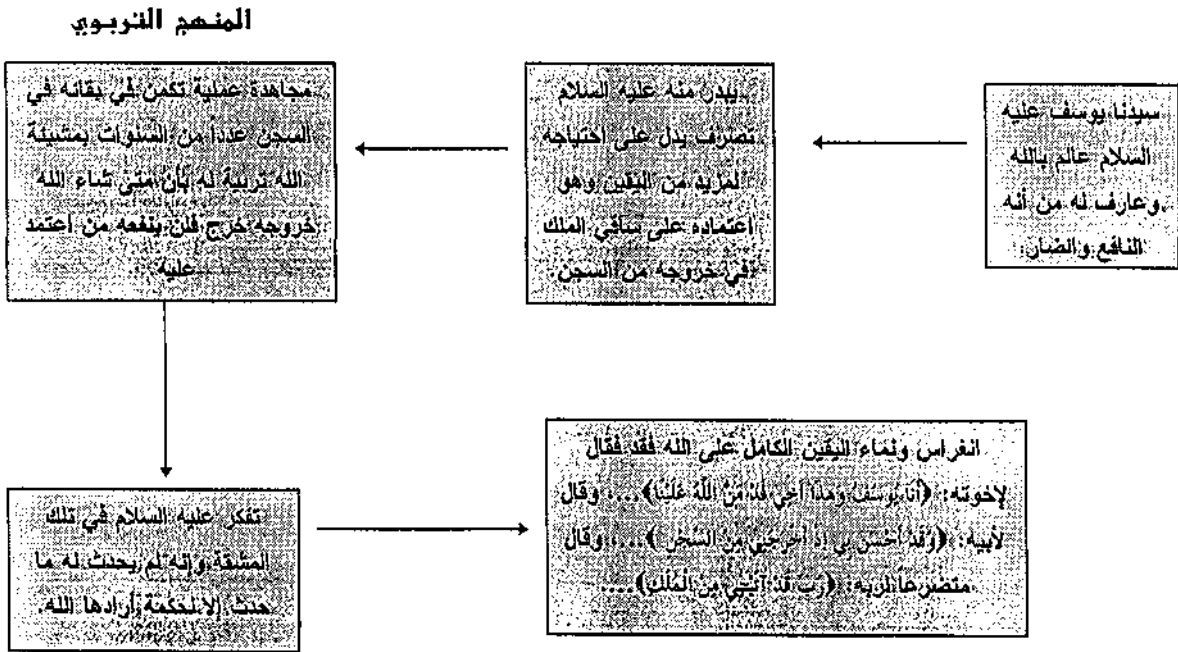
(٣) سورة يوسف، الآية (٩٠).

مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾.

إنه الله جل وعلا ذو المن على عباده، قالها يوسف بكل يقين، كما قالها إخوته وهم يعتذرون، إذ تيقنوا بقدرة الله على النفع، إثر رؤيتهم لرجل عهدوه في غياهب وظلمات بئر في فلاة، وها هم يرونه عزيز مصر، ينادى بـ «يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ»، دانئت له الأرض مطواعة، إنه الله الفعال لما يريد، مالك الملك وهو على كل شيء قدير، رجل تكالب الكثير على إذلاله فأبى الله إلا أن يعزه.

ثالثاً: المنهج المستخلص من تربية الله لسيدنا يوسف عليه السلام على اليقين بقدرة الله على النفع والضرر.

يمكن إجمال المنهج المراد استخلاصه من تربية الله لسيدنا يوسف عليه السلام على اليقين بقدرة الله على النفع والضرر في الشكل التالي:



(شكل ٧- المنهج التربوي الذي رباه الله سبحانه في يوسف عليه السلام على اليقين بقدرة الله على النفع والضرر).

ملحوظة: تنظر الملحوظة ص ٤٤.

(١) سورة يوسف، الآية (٩٠).

المطلب الثاني: سيدنا يونس عليه السلام وتربية الله له على اليقين بقدرته الله سبحانه على النفع والضرر.

هو نبي الله يونس بن متى -عليه السلام-، أرسله الله سبحانه وتعالى إلى مائة ألف أو يزيدون من الناس لينذرهم، ويهديهم إلى سواء الصراط، ذكرت قصته في عدة مواضع من القرآن الكريم منها:

سورة يونس -المسماة باسمه-، وسورة الصافات، وسورة الأنبياء، وسورة القلم.

شهد الله له بالصلاح والاجتهاد في قوله سبحانه ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١)، وقد عرّف القرآن الكريم يونس عليه السلام بوصفين، بأنه صاحب الحوت، وذلك في قوله سبحانه ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾^(٢)، وذو النون، في قوله سبحانه ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣)، والنون هو الحوت.

قذف الله في قلوب قومه أهل -نينوى وهي قرية بالموصل في أرض العراق- التوبة والإنابة بعد أن رأى منهم الصد والجفاء والتكذيب مما دعاه إلى الذهاب عنهم وهجرهم، تلك التوبة كشفت عنهم عذاب الله الذي أوشك أن يحل بهم، يقول سبحانه ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْغَحْزِيِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾^(٤).

والباحث في هذا المطلب التربوي ليس بصدد البحث عما إذا كان التقام الحوت له كان قبل النبوة أم بعدها، فإنه أياً كان الأمر، فالهدف منها كما سيأتي تربية اليقين وتتميته فيه، فترك سيدنا يونس واجب الدعوة قبل أن يأذن له ربه بالخروج ينبئ عن احتياجه عليه السلام إلى غرس مزيد من اليقين بالله على أنه القادر وحده على النفع والضرر، إذ أنه إن كان قبل النبوة فهو غرس لهذا اليقين، وإن كان بعدها

(١) سورة القلم، الآية (٥٠).

(٢) سورة القلم، الآية (٤٨).

(٣) سورة الأنبياء، الآية (٨٧).

(٤) سورة يونس، الآية (٩٨).

فهو تربية له ونماء إلى درجة أسمى من ذي قبل، ولا يستكف نبي الله يونس عليه من تلك التربية الربانية التي اعتنت به.

إن نبي الله يونس عليه السلام نبذ بالعراء من بطن الحوت وهو مرضي عنه غير ممقوت ولا مذموم^(١)، يقول جل شأنه ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَبَدَّ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾^(٢)، وقوله سبحانه ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فهو مشهود له عليه السلام من قبل ربه بالرحمة والصلاح.

وقد أخبرنا جل شأنه عن تربيته اليقين لدى يونس عليه السلام، بداية من التصرف الذي بدر منه عليه السلام مما استوجب التربية الإلهية -وكل بإرادته سبحانه وتعالى وبحكمته- وانتهاء باليقين الذي تم غرسه وتتميته في قلبه عليه السلام، وهو ما يتم توضيحه في هذا المطلب.

أولاً: الآيات القرآنية التي عرضت المنهج القرآني في تربية اليقين بقدرة الله على النفع والضرر في قلب يونس عليه السلام.

يقول جل شأنه في سورة الأنبياء الآيتان (٨٧، ٨٨):

﴿وَإِذَا النُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ويقول سبحانه في سورة الصافات الآيات (١٣٩ - ١٤٨):

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ، فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ، فَالْتَمَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ، فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، فَبَدَّلْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ، وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ، وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ، فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾.

ويقول جل وعلا في سورة يونس الآية (٩٨):

(١) عباس، قصص القرآن، ص ٦٣٠.

(٢) سورة القلم، الآية (٤٩).

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ
الْحِزْبِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

ويقول سبحانه لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في سورة القلم الآيات (٤٨) -
(٥٠):

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ، لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ
نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ، فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

ثانياً: تحليل مبدئي ومجمل للمحاور العامة والرئيسة للمنهج المراد
استخلاصه من تربية الله تعالى ليونس عليه السلام على اليقين
بقدرته سبحانه على النفع والضرر.

يمكن تحديد خطوات التربية التي استخدمت من خلال المحاور الآتية:

المحور الأول: التصرف الذي بدر من سيدنا يونس عليه السلام والبال على
احتياجه إلى غرس مزيد من اليقين فيه.

إن نبي الله يونس عليه السلام ليعلم أن الله على كل شيء قدير، وأنه سبحانه
قد أحاط بكل شيء علماً، لا تخفى عليه خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ولكن هذه
المعرفة بالله لم تبلغ به مبلغ السيطرة والاستحواذ على الفكر والسلوك، مما يعني أن
ثمة زيادة لليقين يحتاج إليه، بتربية تقوي من يقينه السابق.

إن سيدنا يونس لم تفتقر همته عن دعوة قومه إلى الحق وإلى الصراط
المستقيم، فدعاهم حتى بلغ درجة السامة والضجر إذ لم يجد مجيباً لتلك الدعوة، وهو
يعلم أن من يكذب دعوة نبي مرسل سينالهم عذاب من رجز أليم، في هذه الحياة
الدنيا، كما أن قومه أنفسهم يعلمون ذلك. وقد استعجل سيدنا يونس أمر الله فخرج
دون إذن من ربه غيظاً على قومه^(١)، وخوفاً على نفسه من أن يصيبه شيء من
العذاب الذي سيصيبهم لمخالفتهم له، إضافة إلى رغبته في توجيه رسالة إنذار شديدة
للهجة بخروجه هذا تبلغهم خطورة ما هم عليه من ضلال.

(١) الصابوني، صفوة التفاسير، المجلد الثالث، ص ٤٣٠.

وقد سمي الله سبحانه ذهابه عن قومه دون إذن من ربه بالإباق، فعدم صبره على قومه، وعدم صبره حتى يأتيه أمر الله بالخروج، كما كان يأتي الأنبياء عليهم السلام مثل سيدنا شعيب ولوط وصالح وهود، وخوفه من أن يقتله قومه بعد تكذيبهم له^(١)، كما كانت الأقبام الماضية تفعل أو تحاول أن تفعل كل ذلك دفعه إلى أن يستعجل الخروج عنهم.

يقول جل شأنه في شأن خروجه مغاضباً قبل أن يأذن له ربه ظاناً أن لن يضيق الله عليه^(٢)، يقول سبحانه في تصرف منه عليه السلام دال على احتياجه إلى التربية الربانية:

﴿وَإِذَا النُّونُ إِذْ دَخَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ويقول سبحانه ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الصافات: ١٣٩، ١٤٠].

فهو عليه السلام وإن خرج مغاضباً من أجل ربه إذ كفر قومه به، ولم يسلموا له، لكنه بفعله هذا عده رب العالمين هروباً من الواجب، فهو لم يصبر على أذاهم ولم يؤذن له بالخروج كما كان يؤذن للأنبياء من قبل.

إضافة إلى أنه أراد بتصرفه عليه السلام هذا أن يكون في مكان منفتح الأرجاء رحب الاتساع، بعيداً عن منطقة مهددة بالعذاب والخزي، ظاناً أن بخروجه ذلك يبلغه مراده وينال مقصوده - وهو مقصود خير لا محالة -، فشاء الله أن يعلمه ويربيه على أنه ذو القدرة المطلقة، وأنه إن كان فاراً من التضيق - باعتبار أن أرض الله واسعة - فالله قادر أن يجعله يعيش في مكان لا يؤمن العيش فيه، ولا يتصور الحياة فيه والنجاة منه، مكان فيه ظلمات بعضها فوق بعض، في مكان يُعهد مكان عذاب لا رحمة ونجاة، ألا وهو بطن الحوت. فشاء الله بتربيته له - كما هي تربيته لنا أيضاً - أن يخبره بأنك متى شئت نفع نفسك بإنقاذها من ضر مكتوب لن تستطيع، ومتى توقعت الضر من مكان ما فلن يكون ما لم يأذن به الله.

(١) القرظي، تجماع لأحكام القرآن، ج ١١، ص ٣٣١.

(٢) الصابري، صفوة التفاسير، المجلد الثالث، ص ٢٧٣.

المحور الثاني: الكيفية التي تم بها تربية اليقين في قلب سيدنا يونس عليه السلام على أن الله قادر على النفع والضرر.

لقد ربي الله سبحانه وتعالى سيدنا يونس عليه السلام تربية عملية علم بها يقيناً أن الله ذو القدرة المطلقة، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، تربية تمثلت فيها المشقة والمجاهدة التي لا يمكن نسيانها في أي حال من الأحوال. تلك التربية تمثلت في ابتلاع الحوت له والتقامه، بعد هروبه من قومه بدون إذن من الله وركوبه في سفينة كادت أن تغرق بسبب ثقل الركاب فييا، فكان الحل للنجاة التوضيحية بمن تقع عليه القرعة، فكانت من سهم يونس عليه السلام، فألقى عليه السلام بنفسه في الماء المتلاطمة أمواجه، المتسعة أرجاؤه، فالنقمة الحوت حال وقوعه في الماء. ففوجئ بتأني الحياة في جوف الحوت وإمكانية البقاء فيه، فعلم أن هذا من من الله ونعمة، إذ أنقذه من الهلاك والغرق بواسطة من لا يؤمن جانبه، فأكثر من ذكر الله وتسبيحه واستغفاره، واعترافه بتقصيره هو عليه السلام.

وشاء الله سبحانه وإخراجه من جوف الحوت إلى البر وهو سليم معافى، وأكرمه ربه بالإنبات له شجرة تستره وتغذيه، يقول جل شأنه واصفاً تلك المكابدة التي مر بها عليه السلام:

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ، فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ، فَالْتَمَعَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ، فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، فَبَدَأَ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ، وَأُنَبِّئُكَ عَلَيْهِمْ شَجْرَةً مِنْ يَقُطِينٍ﴾^(١).

فلم ينبذه الله سبحانه وتعالى مذموماً من بطن الحوت، بل نبذه مرضياً عليه ومقبولاً يقول سبحانه ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَبَدَّ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ، فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢) فقد تداركته رحمة من ربه القريبة من المحسنين.

(١) سورة الصافات، الآيات (١٣٩-١٤٧).

(٢) سورة النجم، الآيات (٤٩، ٥٠).

المحور الثالث: من دلائل انغراس اليقين وتربيته في قلب سيدنا يونس عليه السلام، اليقين على أن الله هو القادر على النفع والضرر.

لقد أتت التربية العملية الربانية أكلها في سيدنا يونس عليه السلام، فقد علم عليه السلام أن ما أصابه ليس انتقاماً ولا عقوبة له، بل هو تهذيب وتربية له من ربه جل وعلا، ليتضح أمام ناظريه عياناً أن الله سبحانه هو القادر على كل شيء. والذي يعني عدم خشيته من سواه، وعدم التوكل على أحد غيره، وعدم الاعتماد على الأسباب التي قد يبدو في ظاهرها النفع اعتماداً يلهي عن تذكر المسبب جل وعلا، وعدم الخوف من أمر ظاهره العذاب، خوفاً يبعد المرء عنده الخوف من الله ويستبعد قدرة الله القادرة على تغيير نواميس الكون ومجريات المألوف.

وهذا ما شاهدته عليه السلام جلياً؛ فما إن التقمه الحوت حتى أيقن أن لا ملجأ من الله إلا إليه. تذكر أن الأمر فيه درس له. ابتداء من مشيئة الله له لتكون القرعة عليه لا غيره، وانتهاء باستقراره في جوف حيوان ليكون هذا الحيوان بمثابة وسيلة نقل له، ومكان عبادة يذكر الله فيه.

وجد عليه السلام في بطن الحوت الضيق المكاني الذي قد فر منه، ووجد رحمة الله سبحانه وقدرته التي لم يستحضرها حال فراره من العذاب الذي يتوقعه لقومه - وجد أنه متى ما أراد نفع نفسه بنفسه لم يقدر، ومتى ما توقع الضرر والهلاك لم يهلك. فقدره الله التي رسخ مفهومها يقيناً في قلبه عليه السلام ﴿فَأَدَّى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١).

فالاستغفار والتوبة النابعان من صميم قلبه، يدلان على تبين الأمر أمامه عليه السلام، إضافة إلى أنه عليه السلام عزم على الصبر في قومه فعاد إليهم ولكنه فوجئ برحمة الله التي تعمهم، لدخولهم الإسلام الذي أذعنوا لتعاليمه، وانقادوا لهديه، يقول سبحانه:

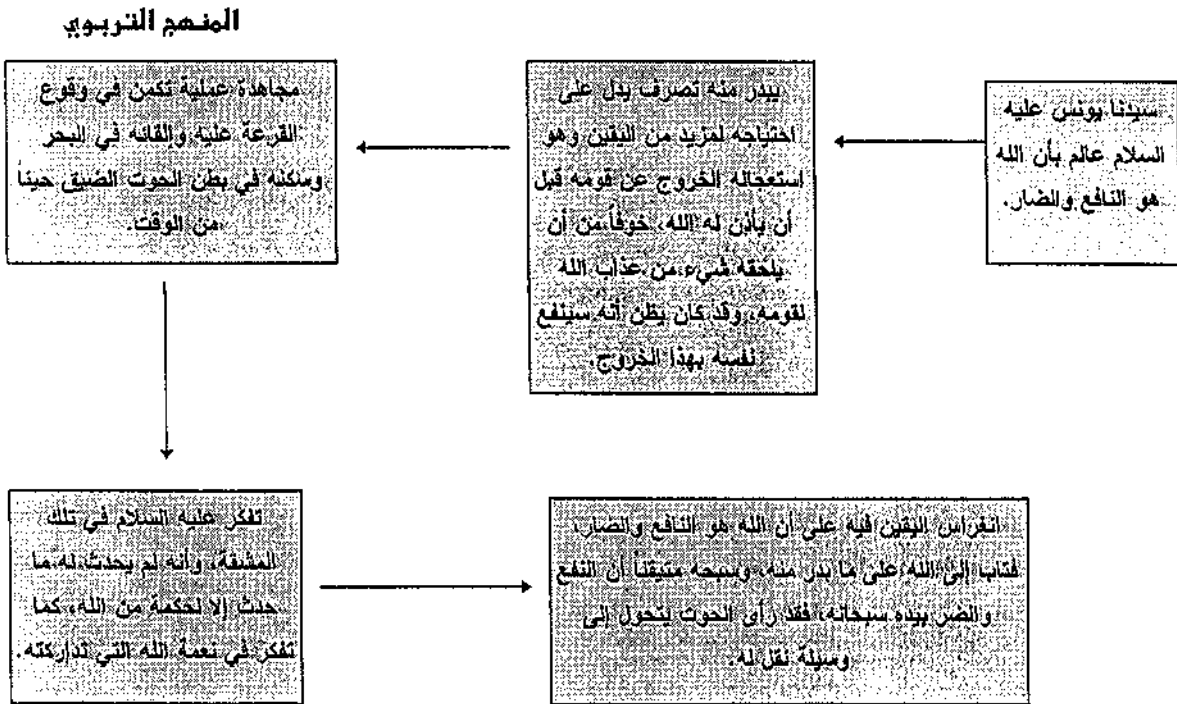
﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٢).

(١) سورة الأنبياء، الآية (٨٧).

(٢) سورة يونس، الآية (٩٨).

ثالثاً: المنهج المستخلص من تربية الله لسيدنا يونس عليه السلام على اليقين بقدرة الله على النفع والضرر.

يمكن تحديد المنهج التربوي الذي ربي الله سبحانه وتعالى عليه سيدنا يونس عليه السلام من خلال الشكل الآتي:



(شكل ٨-٨- يبين المنهج التربوي الذي ربي الله سبحانه به يونس عليه السلام ليتيقن على أن الله هو وحده القادر القدرة المطلقة على النفع والضرر).

ملحوظة: تنظر الملحوظة ص ٤٤.

المبحث الخامس: نماذج من تربية الله على اليقين بقدره الله على النصر والغلبة

تمهيد:

إن الله سبحانه وتعالى هو الغالب على أمره، الناصر لمن أراد نصره، كانت سنته في الأمم الماضية أن يأخذها أخذ عزيز مقتدر إذا ما خالفت نهجه وكذبت رسله، وقد توعد جل شأنه بهذا الأمر في كثير من آياته، كما أنه سبحانه ذكر لنا ما حدث للمكذبين من خراب وتدمير، يقول سبحانه ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١). فالقدرة الإلهية كانت تتدخل، فتفنى من على سطح الأرض كل مكذب ولو كان من ذوي قرابات النبي المرسل.

حتى جاء النبي المرسل لهذه الأمة الخاتمة، العالمية رسالته، الشاملة دعوته، جاء والرحمة بين جنباته، فبالرغم من أنه لاقى ما لاقى منهم، أي من قومه من عنت وتعذيب، لكنه لم يدع عليهم دعاء من سبقه من الأنبياء على أقوامهم، بل كان الداعي لهم بالهداية والتوفيق. ولكنه في المقابل أكرم بقتال المعارضين لدعوته، الحادين من تقدمها، الحائلين بينها وبين انتشارها. هذا القتال بقدر ما في ظاهره من المشقة والهلاك، بقدر ما فيه من رحمة وعطف. إذ لا قتال إلا للمعاند، الواضح عناده، بحمله السيف ضد الدعوة والإصلاح.

إن هذا هو الهدف من الجهاد الذي شرعه الله لهذه الأمة، المفصلة أحكامه في القرآن الكريم والسنة المشرفة. وقد أمر المسلمون بأخذ الاستعدادات اللازمة لخوض المعارك بين الحق والباطل، يقول جل شأنه ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٢). ولكن وفي وقت هم يأخذون فيه بالأسباب المادية، كثيراً ما يأمرهم سبحانه أن لا يغفلوا فيه عن أهم أسباب الفوز والنصر، وهو الله جلت قدرته، الذي لا يرضى من عباده أن يعملوا الأسباب فوق منزلته، ولا يعتمد عليها كالاعتماد عليه سبحانه، فهي نفسها لو لم تكن به وبقدرته لما كانت شيئاً.

(١) سورة العنكبوت، الآية (٤٠).

(٢) سورة الأنفال، الآية (٦٠).

فاليقين على الله هو الذي يريده من عباده منغرساً في حنايا صدورهم وشغاف قلوبهم، فالعدة والعتاد خاوية بنفسها. وعند ضرب هذا المثال يتضح المقال جلياً: مادة البارود الشديدة الاشتعال؛ رب العزة والجلال هو وحده من جعل فيها تلك الخاصة، قادر سبحانه أن ينزعها عنها - كما نزع خاصية الحرق من النار التي ألقى فيها سيدنا إبراهيم عليه السلام- ولكن بوجود تلك الخاصة في البارود المخزن في القذيفة هو الذي يجعلها تتطلق إثر انفداح القادح مما يجعلها تندفع في الوسط الهوائي الذي هيأه الله للاندفاع، فضلاً عن أن القدح قد لا يولد شرراً يشعل البارود لو لم تكن ذرات الأكسجين موجودة، بغض النظر عن أن حركة مفاصل اليد، والعقل، والمخ المنفذ للتعليمات المعطاة، ورائها كلها قدرة الله سبحانه. وهكذا يقاس عليها كل الأمور. فالقذيفة عند قذفها إنما تقذف بتيسير الله لها كل الأمور بما في ذلك صحة البدن وغيره.

فالمرء ينبغي له أن يتيقن أن النصر بيد الله وحده، ولذلك تسند الأمور إليه وحده، ويسأل وحده التوفيق والسداد والنصر والغلبة مع الأخذ بالأسباب، واعتبارها أسباباً لا تغني بنفسها شيئاً، وبذلك يكون الله وحده هو كل شيء في القلب وهو المطلوب تعظيمه لا سواه من ماديات وأسباب، يقول جل شأنه في إخباره الناس بأنه الناصر والغالب ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١)، ويقول سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُخْرِجْ أَعْدَاءَكُمْ﴾^(٢) ونصرهم لله إنما يكون بطاعته وامتنال أمره والتيقن بقدرته على أنه هو كل شيء. كما نصرهم في بدر وهم قلة بإرساله الملائكة لمؤازرتهم، وإنزاله المطر المثبت الأرض لهم، والمعرقل لتحركات أعدائهم، وتغشيتهم النعاس لينشطوا وقت الالتحام. في وقت هم لا يملكون فيه من أسباب النصر التي يراها كثير من الناس ممن يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة معرضون، ولكن الله الناصر والغالب نصرهم، وقال لهم ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران، الآية (١٦٠).

(٢) سورة محمد، الآية (٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٢٣).

وبما أن الجهاد قد شرع لهذه الأمة أكثر من ذي قبل فقد كانت التربية على اليقين بقدره الله على النصر والغلبة مربىً بها هذه الأمة، فالصحابية رضوان الله عليهم هم الذين جسدت التربية فيهم، فقد كانوا ميداناً لهذا النوع من التربية - كما سنرى - فقد بدر منهم رضى الله عنهم تصرف ينبئ عن اعتمادهم على الأسباب ككثرة العدد والعناد، فأراد الله أن يخرس في قلوبهم وقلوب تابعيهم أن كل ذلك لا يغني من الله شيئاً، مبيناً لهم أن الأسباب يؤخذ بها، ولكن لا يركن إليها كوناً كأنها القوة المطلقة والعياذ بالله.

المطلب الأول: الصحابة الكرام وتربية الله لهم على اليقين بقدره الله على النصر والغلبة من خلال غزوة حنين.

لقد ربي الله سبحانه وتعالى الصحابة الكرام رضى الله عنهم التربية التي حولتهم بعد ذلك ومكنتهم من أخذ زمام الأمور بعد النبي صلى الله عليه وسلم وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، فهم من حملوا مشعل الرسالة والنور، صامدين في وجه كل من تصدى لهم وحاول عرقله مسير دعوتهم حتى مكثهم سبحانه واستخلفهم في الأرض وأورثهم أرض أعدائهم وديارهم فأقاموا منهج الله فيها.

فالمشيئة الإلهية تدخلت لتكون اليد العلية هي المربية لهم على اليقين بقدرته سبحانه على النصر والغلبة، تدخلت لعلو مكانتهم وارتفاع شأنهم وقدرهم عند الله سبحانه، فتشرفوا بتلك التربية الربانية المباشرة لهم كونهم أولياء لله سبحانه.

رباهم تهيئة لهم لحمل أعباء ما هو قادم، من أمور لا يستطيع لها إلا من انخرس اليقين التام في قلبه. أولى الله العناية بتربيتهم إشعاراً لمن أتى بعدهم بفضل هذه النخبة الزكية.

رباهم جل وعلا تربية ذكرت في القرآن الكريم - كما سنرى - بسبب ما شاء الله أن يصدر منهم من قول معتقد به في قرارة القلب، تلك التربية تتبئ كل ذي لب أن الأمر كله في ذي الحياة ينبغي أن يوكل إلى الله وحده، ولا ينبغي للمرء أن يتفوه بكلمة تخالف ذلك.

إن غزوة حنين هي ميدان التربية التي يرغب الباحث في دراستها في هذا
المطلب. حدثت هذه الغزوة في السنة الثامنة للهجرة بعد فتح مكة، وحنين تلك موقع
بين مكة والطائف، تكالبت فيه القبائل ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم من
هوازن وغيرها خوفاً على وجودها، إذ رأوا في فتح مكة الخطر الداهم على كيانه.

كان عدد المسلمين في هذه الغزوة اثني عشر ألفاً، عشرة آلاف ممن دخلوا
في الإسلام يوم الفتح، وألفان ممن أسلموا بعد الفتح^(١).

هذه الغزوة خلد ذكرها في القرآن الكريم، لما فيها من دروس تربوية
للمسلمين، ومنها المنهج التربوي الذي ربي الله تعالى عليه الصحابة رضي الله
عنهم على اليقين بأنه جل وعلا الغالب والناصر، والذي نحن بصدد توضيحه فيما
يلي.

أولاً: الآيات القرآنية التي عرضت المنهج التربوي التي ربي الله تعالى
عليه الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - على اليقين بقدرته
سبحانه على النصر والغلبة.

الآيات القرآنية التي عرضت المنهج في سورة التوبة الآيات: (٢٥-٢٧)

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً
وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى
الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

(١) إبراهيم، غزوة حنين، ص ٣.

ثانياً: تحليل مبدئي ومجمل للمحاور العامة والرئيسة للمنهج المراد استخلاصه من تربية الله للصحابة الكرام رضي الله عنهم على اليقين بقدره الله على النصر والغلبة.

يمكن المنهج المراد استخلاصه، في المحاور التالية:

المحور الأول: التصرف الذي بدر من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم الدال على احتياجهم إلى تربية اليقين فيهم.

مما لا شك فيه أن الصحابة رضي الله عنهم على علم بأن الله هو الناصر والغالب، بل ومتربون على ذلك. فهم نتاج التربية النبوية والمدرسة المحمدية التي علمتهم وغرست فيهم الإيمان قبل تعليمهم القرآن.

ومن حيث تربيته لهم صلى الله عليه وسلم على اليقين بقدرته سبحانه على النصر والغلبة ما رأوه من تضرعه عليه الصلاة والسلام لربه يوم بدر، فنصرهم الله يوم الفرقان النصر المؤزر، وخلد ذكر ذلك في كتابه العزيز، منها قوله سبحانه ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١). إلى قوله سبحانه ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(٢).

وهم يعلمون رضي الله عنهم ما كان منه عليه الصلاة والسلام من تضرع وابتهال إلى الله في أن يمدهم بنصره، كما أنهم يعلمون أن نصرهم في بدر كان من الله وحده إذ القرآن صريح بذلك كما أسلفنا.

ولكن يبقى اليقين التام على ذلك المبدأ العظيم، والذي يراه المتأمل في الآيات الواردة في غزوة حنين قد فتر نوعاً ما عما هو مطلوب مما استدعى تدخل اليد العلية في تربيتهم وغرس اليقين في قلوبهم عليه سبحانه. إن التصرف الذي بدر منهم والدال على احتياجهم لمزيد من اليقين يتمثل في إعجابهم بكثرة عددهم رضي الله عنهم - ظانين أن في ذلك النصر المحتوم والغلبة الأكيدة، وهذا الأمر يعد في حقهم كبيراً.

(١) سورة آل عمران، الآية (١٢٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٢٦).

يقول جل شأنه واصفاً حالهم ذلك:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾.

يقول صاحب (في ظلال القرآن):

(إن معركة حنين التي يذكرها القرآن الكريم ليعرض نتائج الانشغال بغير الله والاعتماد على قوة مع قوته، لتكشف لنا عن حقيقة القوى التي تعتمد عليها كل عقيدة. إن الكثرة العددية ليست بشيء، إنما هي القلة العارفة المتصلة الثابتة المتجردة للعقيدة... لقد قامت كل عقيدة بالصفوة المختارة، لا بالزبد الذي يذهب جفاء، ولا بالهشيم الذي تذروه الرياح)^(١).

إن اعتقاد بعض الصحابة أن كثرة العدد والعتاد محقق النصر لا محالة أمر لم يرضه الله تعالى، خاصة وأنهم قد رأوا ما رأوا من نصر الله لهم في بدر وهم قلة على عدوهم الكثير العدد والعتاد، فأراد الله تربيتهم والنبي بين جنباتهم، والوحي لا يزال يأتيه ليخبرهم أن ما حدث في غزوة حنين درس تربوي لكم ولمن أتى بعدكم.

المحور الثاني: الكيفية التي تمت بها تربية اليقين في قلب الصحابة الكرام رضي الله عنهم على قدرة الله سبحانه على النصر والغلبة.

إن الصحابة رضي الله عنهم بعد أن بدر منهم ما يتنافى ويتعارض مع العقيدة الصحيحة الداعية إلى إسناد النصر والغلبة إلى الله وحده، بدر منهم في ساعة سهو وغفلة، في ساعة ظهرت فيها النزعة البشرية والفطرة الإنسانية، والمقياس العقلي المحدود.

شاء الله أن يأخذ بأيدي تلك الصفوة المرضي عنهم، والمثني عليهم في كثير من آياته.

فكانت تربية الله لهم متمثلة في إثبات عدم أهلية تلك الكثرة من الجموع المسلمة التي أعظموها، وعدم جدواها، فهي لم تغن عنهم شيئاً، فقد كان مآلها إلى

(١) قطب، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٦١٨.

الهزيمة والتشردم. فتحول انفعال الإعجاب بالكثرة إلى زلزلة الهزيمة الروحية، ثم إلى انفعال الضيق والحرَج حتى لكان الأرض كلها تضيق بهم وتشد عليهم، إلى حركة الهزيمة الحسية، وتولية الأدبار والنكوص على الأعقاب^(١).

كل ذلك كان في سبيل غرس اليقين الخالص فيهم، على أنه لا ناصر إلا الله، خاصة وأن تلك المشقة العملية والجهد البدني والنفسي الذي أصاب الصحابة فور التحام الصفوف أعقبهما نصر، جاء بثبات فئة قليلة ثبتت مع النبي صلى الله عليه وسلم النفث حوله وقت فرار جموع المسلمين من حوله، هذه الفئة القليلة أيدت بنصر الله المؤزر، إذ فلتت جموع الكفر فلا، فقد أنزل الله عليهم السكينة لتثبيت القلوب الطائرة وتهذئة الانفعالات الثائرة، وأنزل أسباب نصرته لهم من الملائكة والرعب الذي بثه في قلوب الأعداء^(٢).

لقد رأى الصحابة رضي الله عنهم عياناً انقلاب الموازين الأرضية والقاعدة الدنيوية المعهودة ليرسخ في قلبهم وكيانهم ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(٣) ويرسخ ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٤).

فقد أراد الله لهم بهذه التربية وبهذا الأسلوب ليكون لهم شأنهم في معترك الحياة مع الكفار، لهم ولمن أتى بعدهم من محبيهم والسائرين على نهجهم والمتربين على ما ربوا عليه.

لقد كان الصحابة ميدان التضحية في سبيل تلك التربية، فكان في ذلك إشعاراً للمسلمين في أهمية غرس المعتقد الصحيح في الله على أنه الناصر والغالب، فلا ينبغي إعلاء الأسباب عن منزلتها كأسباب ليس لها القدرة على النصر بنفسها، فهي فقيرة إلى قدرة الله سبحانه، فيترود بها ويستعد ولكن لا يركن إليها كقوة كفيفة وحدها بالردع وتحقيق النصر كما أسلفنا.

(١) قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص١٦١٧.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٤٢٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٢٦).

(٤) سورة آل عمران، الآية (١٦٠).

لقد رسخت التربية في غزوة حنين، فظهرت نتائجها من خلالها مآثرهم الجسام التي قاموا بها في الفتوحات الإسلامية لاحقاً، إذ قارعوا أكبر دولتين آنذاك الفرس والروم متوكلين على الله وحده.

يقول جل وعلا في شأن تلك التربية:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (١).

المحور الثالث: من دلائل انغراس اليقين في قلوب الصحابة الكرام رضي الله عنهم لقد أخذ الصحابة الكرام في حادثة غزوة حنين درساً تربوياً، لا يمكن لقلب واجه المشقة في سبيله أن ينساه.

فالهزيمة للكثرة الكاثرة، والنصر للقلة القليلة الصابرة والمتيقنة على الله قد ثبتت كحقيقة في القلب، وتحولت إلى سلوك عملي في واقع حياتهم رضي الله عنهم. يظهر ذلك واضحاً جلياً من خلال استبسالهم في مواقف الشدة ضد الكفار ذي الكثرة والعتاد. كما يظهر في رسائلهم لبعضهم البعض. فالقائد منهم عندما يرسل جنده وقواده لا نجده إلا حاثاً لهم بنصرتهم لربهم بالطاعة، والإذعان والتوكل المطلق على الله، وطلب المدد والعون منه. كما يظهر في خطبهم وأقوالهم رضي الله عنهم الدالة على تشرب القلب بعظمة الله وقدرته، والخوف من الله وحده لا من قوة عدوهم. يذكر في ذلك كتاب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص في معركة القادسية يحثه فيه بالتمسك بالله وحده، يقول: (أما بعد: فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب. وأمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله؛ ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عدونا ليس كعدوهم، ولا عدتنا كعدوتهم. فإن استؤينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في

(١) سورة التوبة، الآيات (٢٥، ٢٦).

القوة، وإن لا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم، أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم... إلى أن قال: والله ولي أمرك، ومن معك، وولى النصر لكم على عدوكم، والله المستعان! (١).

وكتاب خالد بن الوليد لقواده بالشام؛ وما فيه من حث لهم على طاعة الله التي تؤدي إلى نصر الله سبحانه، يقول:

(اجتمعوا فتكونوا عسكرياً واحداً وألقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين فإنكم أعوان الله، والله ناصر من نصره، وخاذل من كفره، ولن يؤتكم من قلة، وإنما يؤتى عشرة الآلاف والزيادة على عشرة الآلاف إذا أتوا من تلقاء الذنوب. فاحترسوا من الذنوب واجتمعوا باليرموك متساندين وليصل كل رجل منكم بأصحابه) (٢).

هكذا كانت كتاباتهم في ساعات الشدة والرخاء. فقد كانت مملأة بما يستدل منه على تمام يقينهم بالله، وقوة اعتقادهم فيه على أنه القادر على كل شيء، والقاهر لكل متكبر، والقاصم لكل جبوت.

كما أنهم كانوا قبل احتماء الوطيس قواماً ليلاً، صواماً نهاراً، طالبين النصر منه وحده لم يفتروا بالأسباب التي عندهم كما لم يذهلوا بقوة عدوهم.

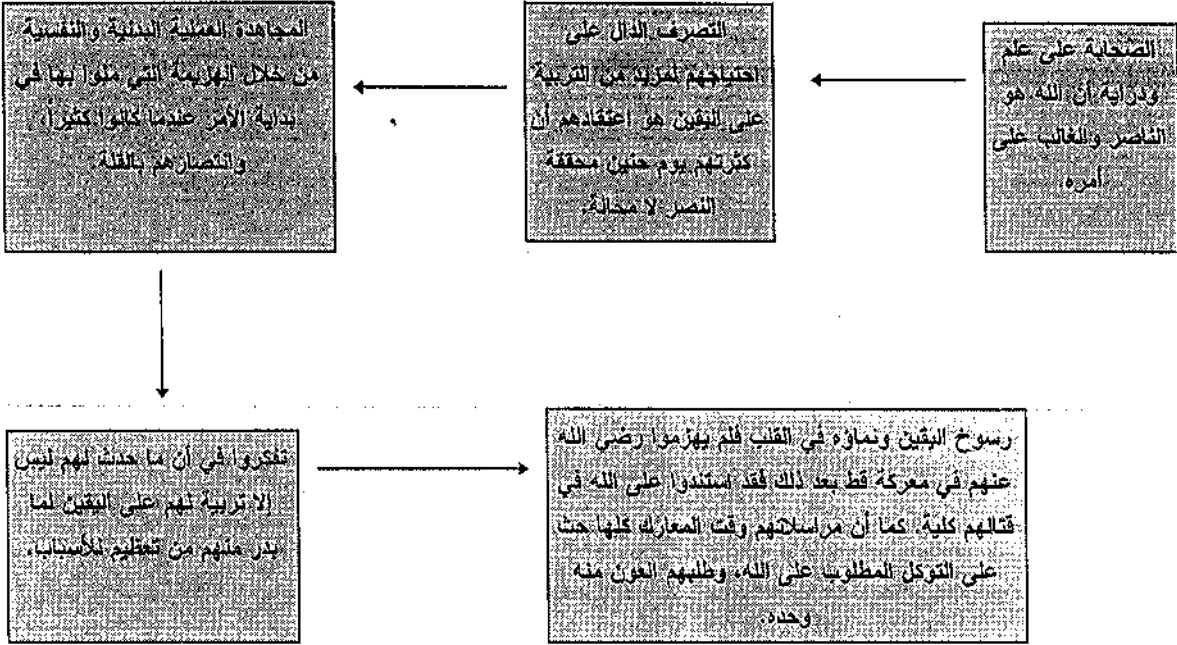
ثالثاً: المنهج المستخلص من تربية الله للصحابية الكرام رضي الله عنهم على اليقين بقدره الله على النصر والغلبة، من خلال أحداث غزوة حنين.

يمكن إجمال المنهج التربوي الذي ربي الله عليه الصحابة الكرام رضي الله عنهم في الشكل الآتي:

(١) حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٧٥٩.

(٢) العنق، عبقرية خالد، ص ١٢٣.

المنهج التربوي



(الشكل - ٩ - ويبين المنهج التربوي المستخلص من تربية الله للصحابية الكرام على اليقين بقدرته على النصر والغلبة من خلال غزوة حنين).

ملحوظة: هذا النموذج حاله حال النماذج السابقة التي تم تحليلها إذ يرى الباحث أنه أسلوب تربوي ليزداد المربون يقيناً بخالقهم سبحانه شاء الله سبحانه أن يطلعنا عليه في كتابه لنتخذة أسلوباً ومنهجاً في هذه الحياة لنجني ما قد جنوه من خير دنيوي وأخروي.



الفصل الثالث

عناصر المنهج القرآني في تربية اليقين
بقدررة الله المستخلص من تربية الله
لأنبيائه وأوليائه في القرآن الكريم،
ودلالاته التربوية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عناصر المنهج القرآني في تربية اليقين بقدررة الله
المستخلص من تربية الله لأنبيائه وأوليائه في القرآن
الكريم

المبحث الثاني: الدلالات التربوية للمنهج



الفصل الثالث

عناصر المنهج القرآني في تربية اليقين بقدرته الله المستخلص من تربية الله لأنبيائه وأوليائه في القرآن الكريم، ودلالاته التربوية

تمهيد:

تبين من دراسة النماذج الكريمة في الفصل السابق، أن المعنيين بها كانوا على علم يقيني بأن الله جل وعلا موصوف بالقدرة المطلقة على كل شيء، وذلك من خلال تعليم الله لهم، بوحيه إليهم فضلاً عن إدراكهم ذلك بالعقل، ومن خلال ما يحسون به من دلائل قدرته في واسع خلقه وبديع صنعه جل وعلا-.

وقد تبين أن هذا العلم اليقيني بالله سبحانه حتى يقوى رسوخه وينمو بحيث يستحكم وجوده في القلب حتى يكاد أن يكون كالمشاهدة، كما عبر عنه القرآن الكريم بـ (عين اليقين) و(حق اليقين) بحاجة إلى منهج ذي وسائل وأساليب فعالة، يكمن في (المجاهدة العملية للنفس والبدن)، من خلال عدة أساليب، كل أسلوب منها يعد عنصراً من عناصر هذا المنهج الذي تم استخلاصه من مجموع ما ذكر من نصوص قرآنية.

وبما أن هذه الدراسة تتعلق بتربية اليقين، بمعنى أن اليقين في الأساس كان موجوداً، وذلك من خلال العلم بصفات الله سبحانه- أياً كانت الطريقة المستخدمة في تلقي هذه العلم الهام- فإن الباحث في هذا الدراسة قد عني باستخلاص المنهج - بأساليبه المتعددة- الذي من خلاله يمكن لليقين أن ينمو ويزداد إلى درجة أعلى من العلم اليقيني، أو إلى درجة يثبت فيها هذا العلم ولا ينحسر.

وقد خلص الباحث من خلال النماذج التي تم تحليلها إلى أن أساليب ووسائل منهج المجاهدة العملية التي تمكن اليقين من القلب تتمثل فيما يلي:

أولاً: الحرمان من المحبوب (المرغوب فيه) من متع الحياة وزينتها بقصد التربية وليس الانتقام

ثانياً: التجربة والمشاهدة الحسية المحفوفة بالمشقة
ثالثاً: التذكير بالنعم والمصائب

والشكل التالي يبين بإجمال وسائل وأساليب "المجاهدة العملية" التي ربي الله -

سبحانه وتعالى عليها خاصته من البشر - عليه السلام - :

أخذت أسلوب التجربة والمشاهدة الحسية، بطريقة مكلفة وشاقة، ففيها مجاهدة عملية بدنية تمثل في جمع الطير وتمزيقه وتوزيعه على رؤوس الجبال.

المجاهدة العملية في تربية سيدنا إبراهيم على اليقين

أخذت أسلوب الحرمان من المال الذي عزموا على أخذه، فقد احترق مالههم بمجرد نيتهم النية، تربية من الله لهم، وفي هذا مجاهدة عملية نفسية يدرسخ بسببها اليقين.

المجاهدة العملية في تربية أصحاب الجفة الوارد ذكرهم في سورة القلم على اليقين

أخذت أسلوب الحرمان من فضل كان قد أكرمها الله به، والمتمثل في الرزق الذي كان يأتيها دون عناء، وتكليفها تربية لها بإلحائها إلى الأسباب وقتت ونهت، والمتمثل في هز النخلة.

المجاهدة العملية في تربية السيدة مريم على اليقين

أخذت أسلوب التذكير بالنعمة، إذ أخبره الله بفضله عليه منذ يوم ولادته، وهذا الأسلوب معزز يحفز معنوي يكمن في إخباره برعايته الله له واصطفائه وتلبية طلبه في أن يكون أخوه معه، إضافة إلى تكليفه أخذ الحية كل هذا جعله يتيقن ويذهب إلى فرعون.

المجاهدة العملية في تربية سيدنا موسى على اليقين

أخذت أسلوب الحرمان من المحبوب المتمثل في فقده الولد الأكبر، فقد أخذه الله من بين يديه. وفي ذلك مجاهدة عملية نفسية وبدنية تمثلت في الحزن والعسى.

المجاهدة العملية في تربية سيدنا يعقوب على اليقين

أخذت أسلوب التجربة والمشاهدة الحسية، والمتمثلة في رؤيته عياناً إحصاء عظام حمارة، وبها مجاهدة عملية تمثلت في ما ترتب عن غيابه مدة ١٠٠ عام.

المجاهدة العملية في تربية سيدنا العزيز على اليقين

أخذت أسلوب الحرمان من النصر الذي ينشدونه، فقد منوا بالهزيمة لظنهم الاقتصار بكثره العدد، يوم حنين، وفي تلك الهزيمة مجاهدة عملية للنفس والبدن، تربية من الله لهم على اليقين بالله وحده.

المجاهدة العملية في تربية الصحابة الكرام على اليقين

أخذت أسلوب الحرمان من معة الأرض التي ينشد الفرار إليها والعيش فيها، فقد جعله الله في بطن الحوت ذي الظلمات، تربية من الله له على اليقين عليه وحده، وفي هذا مجاهدة يندبها ونفسية.

المجاهدة العملية في تربية سيدنا يونس على اليقين

أخذت أسلوب الحرمان من الخلاص من المحنة التي ينشدونها، فقد بقي حيا من الوقت في السجن وفي هذا مجاهدة عملية نفسية، ومن استند إليه في الخلاص لم ينفعه، وكل ذلك تربية من الله له.

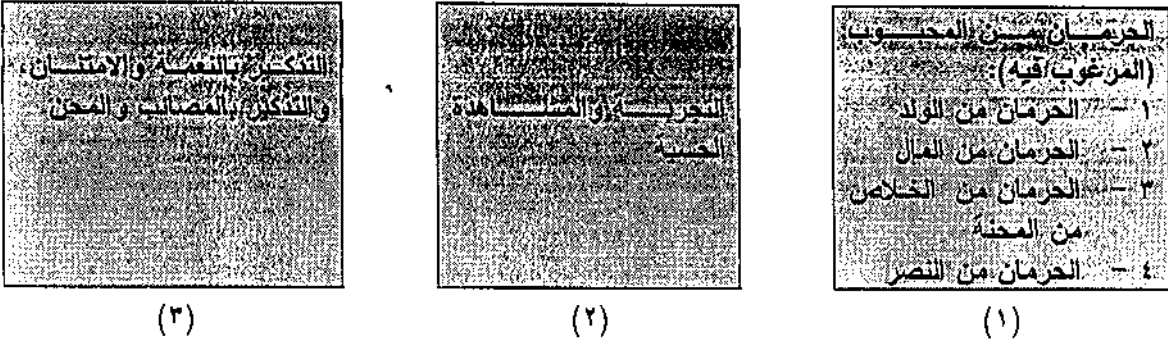
المجاهدة العملية في تربية سيدنا يوسف على اليقين

الشكل - ١٠ - ويبين أساليب وأنماط منهج المجاهدة العملية التي ربي اليقين بها في

قلوب الأنبياء والأولياء الذين تم تحليل قصصهم في الفصل السابق.

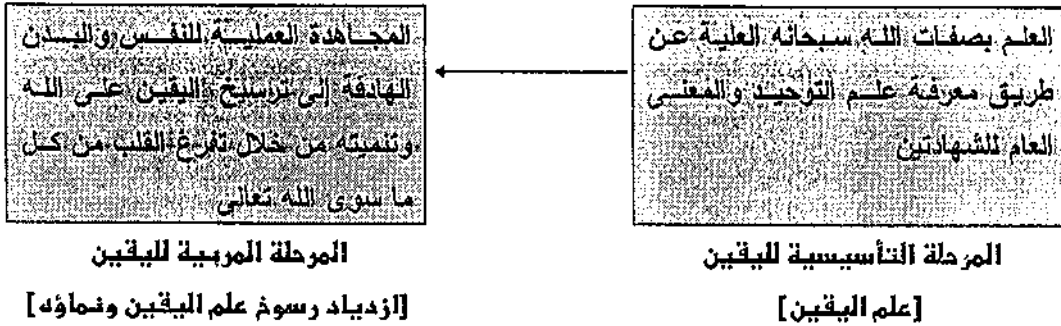
من خلال الشكل السابق يمكن إجمال أساليب منهج المجاهدة العملية في الشكل

التالي:



الشكل - ١١ - ويبين مجمل أساليب منهج المجاهدة العملية في تربية اليقين المستخلص من دراسة تربية الله لخاصته من البشر في القرآن الكريم.

ومن خلال ما سبق تحليله في الفصل الثاني تبين أن منهج المجاهدة العملية تعد المرحلة التالية والخطوة الثانية في سبيل تثبيت اليقين وانعراسه بعد مرحلة التأسيس، والتي تكمن في التعريف بصفات الله سبحانه، سواء كان هذا التعريف بالوحي أو بالسماع أو بالعقل؛ والشكل التالي يوضح بإجمال خطوات هذه التربية ومراحلها:



الشكل - ١٢ - ويوضح أهمية المنهج التربوي لليقين

إن المرحلة التي بها يربو اليقين وينمو كما في الشكل السابق - والمتمثلة في المجاهدة العملية للنفس والبدن تعد المنهج الذي يعول عليه في تربية اليقين بقدرة الله المطلقة على فعل كل شيء، والذي سيأتي تفصيله لاحقاً. ففي هذا الفصل سيقوم الباحث بتفصيل المنهج المستخلص بعناصره المتعددة في المبحث الأول مع التطرق إلى ذكر بعض التطبيقات التربوية له؛ وفي المبحث الثاني سيتم التطرق إلى الدلالات التربوية المستخلصة من هذا المنهج:

المبحث الأول: عناصر المنهج القرآني في تربية اليقين المستخلص من تربية الله لأنبيائه وأوليائه في القرآن الكريم.

لقد تبين من خلال عرض النماذج القرآنية أن العلم العقدي من حيث العلم أن الله كامل في ذاته وصفاته، وأنه على كل شيء قدير - حتى يقوى رسوخه لا بد من بذل شيء من الجهد العملي للنفس والبدن؛ إذ أن مرارة المعاناة التي قد تتجم عن ذلك لها دورها الفعال والمجدي لبقيائها حياة في النفس، خاصة إن حدثت في سبيل ذلك التضحيات الجسام التي لا يمكن أن تتسى بحال من الأحوال إلا نادراً. فالمجاهدة العملية للنفس والبدن لا يقصد بها الشق على النفس والبدن، بل المقصود إرغامهما على فعل الخير وترك الشر على سبيل الترويض حتى تألفا كل ذلك.

وفي ما تم إيضاحه من نماذج تأييد لقول من قال: إن اليقين كسبي من حيث اعتبار أسبابه، إذ هو من زيادة الإيمان؛ موهبي من حيث اعتبار نفسه وذاته، إذ هو علم مستودع في القلوب^(١). وبما أنه كسبي، فإن من ضمن طرق اكتسابه السعي العملي في سبيل تأكيد ما علم وعرف عن الله جل شأنه، ليصل المرء بسعيه الدؤوب إلى قمة اليقين الذي لا يبقى معه أدنى شك.

ولئن كان الأنبياء والأولياء عليهم السلام قد رباهم الله جل شأنه على ذلك مباشرة، فإن المجاهدة العملية المعنية لمن أتى بعدهم تكمن في ترويض النفس على أعمال قد تكون مكلفة وشاقة بعض الشيء.

فاليقين كما هو معلوم أمر قلبي وشيء معنوي غير محسوس كنهه، ولكن نتائجه وآثاره معروفة، والأعمال القلبية هكذا حالها حتى ترسخ، وأقرب مثال على ذلك الخشوع في الصلاة الذي لن يحصل المرء على ثمرة الصلاة إلا من خلاله، مصداقاً لقوله سبحانه: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ»^(٢). هذا الخشوع حتى يتم تحقيقه - كونه أمراً قلبياً - أوصى الشارع القيام بالصلاة منذ باكورة العمر، وذلك حتى يترويض المرء على استحضار القلب، بخلاف ما قد يظن أن الهدف من حث الإسلام المرء على الصلاة منذ الصغر هو التعود على الحركات،

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج ٢، ص ٣٣٩.

(٢) سورة المؤمنون، الآية (١، ٢).

فهذه الحركات بإمكان المرء تعلمها دون عناء، ولكن الخشوع والأعمال القلبية الأخرى في الصلاة كالصبر وغيره هي التي تحتاج إلى تلك المشقة والمعاناة والمجاهدة العملية، فتفريغ القلب حيناً من الوقت من كل ما سوى الله لن يكون إلا بهذا الترويض المجهد، الذي لا يلبث أن يكون يسيراً -بعون الله- فيما بعد.

فالأعمال القلبية بحاجة إلى ترويض عملي تدريجي، ولذلك نجد الأوامر الإلهية والتوجيهات النبوية تركز على الجوانب العاطفية والوجدانية، لمحاولة ضبطها وإحكامها وتهذيبها.

فالأوامر الإلهية وجهت الطاقات الوجدانية في الإنسان إلى ما فيه نفعه وصلاحه: كطاقة الكره، والحب مثلاً، نجد أن الإسلام أوجد لهما مصارف نافعة للإنسان إذا ما امتثلها وسار عليها، كذلك توجيهاته في كيفية تعامل الإنسان مع الخبر المفاجئ المفجع، أو الخبر الذي قد يفضي إلى إشكالات لا تحمد عقباها فهذه الأمور القلبية وغيرها بحاجة إلى مجاهدة نفسية متدرجة حتى تضبط.

إن أمر المجاهدة أمر نفت القرآن الكريم إليه نظر المسلم، فقد جاءت كلمة الجهاد في مواضع عدة من القرآن الكريم بمعنى أعم من معنى القتال، فما القتال إلا معنى من معانيها. فمن معانيها بذل القوة أو الكفاءة^(١).

ففي الآية ٦٩ من سورة العنكبوت، استعملت بمعنى بذل القوة والجهد، ولم تستعمل بمعنى القتال يقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي هم الذين احتملوا في الطريق إليه ما احتملوا فلم ينكصوا ولم ييأسوا، والذين صبروا على فتنة النفس وعلى فتنة الناس، والذين حملوا أعباءهم وساروا في ذلك الطريق الطويل الشاق الغريب^(٢).

كما جاءت بنفس المعنى في الآية السادسة من نفس السورة في قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ..﴾

(١) عبد ربه. فلسفة الجهاد في الإسلام، ص ٢٨، ٢٩.

(٢) قطب، في فلال القرآن، ج ٥، ص ٢٧٥٢.

وجاءت كلمة الجهاد بمعنى الإقناع بالحجة عند الدعوة إلى الإسلام، كما في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(١)، فالمناققون كانوا حينئذ يعاملون معاملة المسلمين ولم يقل أحد أبداً أن النبي صلوات الله عليه وسلامه أمر بقتالهم قط، فتعين أن يكون المراد الدعوة إلى الإسلام بالحجة والإقناع^(٢).

وجاءت كلمة الجهاد بمعنى القول، كما في قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾^(٣).

فالجهد عموماً بذل الوسع وغاية الجهد لنيل أكبر مطلوب وأعلى رغبة، وكل ما يزاحم العقيدة والتربية والأخلاق، يحتاج إلى بذل الجهد والمشقة وتقديم التضحيات حتى يتحقق النصر ويظهر المراد وينال المطلوب^(٤).

وفي هذا المبحث سيتم توضيح عناصر منهج المجاهدة العملية التي بها يتربى اليقين بالله علماً أن كل عنصر عبارة عن أسلوب أو نمط من أنماط المجاهدة العملية التي استخلصت من تربية الله لأنبيائه وأوليائه على أن يكون كل أسلوب عام في مطلب مستقل كالتالي:

المطلب الأول: أساليب الحرمان من المحبوب من متع هذه الحياة وزينتها.

اقتضت حكمة الله وشاءت إرادته أن يخلق الإنسان من طينة أرضية ونفخة علوية، وقد أراد سبحانه أن يكون هذا الإنسان متوجهاً بكل كليته إلى الله سبحانه وحده ولذلك خلقهم-، ولما كان الإنسان قلباً متقلباً، وكثيراً ما تعثره البداوات والنزوات فإنه كثيراً ما يتمرد على خالقه- ويبعد نفسه عنه، فيعظم المخلوق، ويسكن في قلبه مألوفات هذه الحياة ومتاعها من المال والولد والجاه وغيرها- إلا من رحم الله-.

(١) سورة التحريم، الآية (٩).

(٢) عبد ربه، فلسفة الجهاد في الإسلام، ص ٣٠.

(٣) سورة لقمان، الآية (١٥).

(٤) عبد ربه، فلسفة الجهاد في الإسلام، ص ٢٣.

إن مما أطلق الله عليها زينة لم يحرم الله عليه السعي إليها، والكدح من أجل الحصول عليها، ولكن المحذور هو أن يتشرب القلب حبها، ويهيم ودأ فيها، درجة تشغله عن خالقه، بل ويفوق حبها حب خالقه -والعياذ بالله- فالله جل شأنه قد حذر الناس من ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ (١).

إن أشد الخطر على المؤمن -وقت انشغال قلبه بالمخلوقات- هو اعتقاده الوجداني وبقينه القلبي بجدوى هذه المخلوقات، وإنها بإمكانها النفع والضرر، وإنها القادرة بذاتها على ذلك، يقيناً يدفعه إلى الاعتماد عليها كل الاعتماد، دون الالتفات إلى خالقها ومدبر أمرها -والعياذ بالله- ؛ وحتى يكون يقينهم القلبي كاملاً على ذات الله سبحانه وحده، ومن أجل أن يكون هو المرجو وحده في دفع الضرر وكسب الخير والنفع إلى درجة لا ينافسُ الله فيها في القلب بأي مخلوق مهما عظم قدره كانت وسائل المجاهدة العملية التي رباهم الله عليها ليبلغوا مرتبة لا يلتفت فيها إلى من سواه سبحانه، ومنها وسيلة الحرمان من هذا المحبوب الذي أخذ حيزاً من القلب الذي ينبغي أن يكون كله لله وحده، وهذا الحرمان كان تبنيتها من الله للعبد الذي يحبه، ففقد متاع دنيوي لا محالة زائل لا يعد شيئاً مقابل ما سيجنيه المرء المربى على اليقين من ازدياد اليقين ونموه في القلب.

ووسيلة الحرمان تلك تعد نمطاً من أنماط المجاهدة العملية شملت عند تربية الله لخاصته من البشر كافة أنواع المحبوبات الدنيوية من المال والولد والنصر والسعة والخالص من المحن وغيرها من متع الحياة، ولم تتدخل اليد العلية في توجيه مسارهم عليهم السلام إلا من بعد ما ظهر منهم ما يستدعي ذلك التوجيه، فكان التدخل في ظاهره عقوبة، ولكن هذه العقوبة وسيلة تربوية توجيهية وليست انتقاماً،

(١) سورة التوبة، الآية (٢٤).

والدليل على ذلك إلهام الله لهم فهم الحكمة من وراء تلك الحوادث المؤلمة ما استدعاهم الرجوع إلى الله سبحانه وتدارك ما حدث، وفي النقاط التالية ذكر لنماذج كريمة تم تفصيلها- فيها تربية على اليقين بأسلوب عقوبة الحرمان التربوية، مفصلة حسب أنواع هذه المحبوبات:

أولاً: أسلوب الحرمان من الولد بهدف التربية

إن حب الولد غريزة أودعها الله سبحانه في قلب المرء، ولذلك فتوجيهات الله سبحانه في كتابه العزيز للوالدين ليعطفوا على أبنائهم ليست بتلك الكثرة إذا ما قورنت بتوجيهاته سبحانه إلى الأبناء للعطف على آبائهم، بل نجده سبحانه يهذب هذه الغريزة أو الفطرة بتوجيهه لها، محذراً من أن تلهيه هذه المحبوبات القلبية بما فيها الولد، يقول جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١) بل وأخبر عنهم سبحانه أنهم فتنة إذا ما ركن الإنسان إليهم وشغف القلب بحبهم على نحو ينسيهم هدف الوجود والغاية من الخلق.

إن ممن رباهم الله بهذا الأسلوب هو سيدنا يعقوب عليهم السلام، عندما كان قلبه منشغلاً بابنه يوسف عليهما السلام، لدرجة نفتت نظر إخوانه.

إن أمر حبه عليه السلام لابنه الأثير يوسف لم يستوقف الباحث كثيراً فهو أمر فطري جبلي، ولكن الذي يستوقف أي متأمل في تلك القصة الكريمة هو أن شدة حرصه جعلته عليه السلام يكل حفظه وحمايته على قدرة المخلوق كما تم تفصيله سابقاً-، وهذا الحرص، واليقين على قوة المخلوق كما يظهر في تعهد أولاده له بحفظه لما أوتوا من قوة، وأنهم عصبه- هو الذي كلفه ما حدث له من حزن وعمى على فراقه لابنه حيناً من الزمن، ولكن ولأن تلك العقوبة والمجاهدة العملية كانت تربوية فإن الله سبحانه ألهمه معرفة الحكمة من ذلك وهو ازدياد يقينه بخالفه من أنه القادر وحده على رعاية ابنه وحفظه، فقال الله سبحانه على لسانه: ﴿قَالَ اللَّهُ خَيْرَ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٢). فالله جل شأنه أراد عليه السلام أن يكون كاملاً لله، وقد كان له القدوة من قبل في أبيه إبراهيم عليه السلام الذي رزقه الله الولد ولكن لما يأخذ

(١) سورة المائدة، الآية (٩).

(٢) سورة يوسف، الآية (٦٤).

هذا الولد المأخذ غير المطلوب في القلب بالرغم من معزته عنده ومجيئه إليه وقت كبره، فبمجرد أن يأمره الله بذبحه يمتثل ويستجيب، إذ لم يكن في قلبه عليه السلام سوى الله سبحانه، فحفظ الله له ابنه من الذبح ولم يحرمه منه.

ثانياً: أسلوب الحرمان من المال

إن حرمان الله سبحانه من أراد تربيته على اليقين من المال كسبيل إلى ذلك لنبذ كل من سواه سبحانه، يعد إكراماً من الله وامتتانياً وليس حرماناً كما هو ظاهر، فلا مجال للمقارنة بين المتاع الدنيوي المتمثل في المال واليقين الذي قد يكرم به المرء.

وممن رباهم الله سبحانه بهذا الأسلوب من المجاهدة العملية للنفس والبدن هم أصحاب الجنة الوارد ذكرهم في سورة القلم، فهم قد حرموا بستانهم الذين اعتقدوا في حرمانهم الفقراء التوفير للرزق، فقد انحسر يقينهم على خالقهم من أن الرزق والغنى في طاعته واليقين عليه وحده . وقد تأثروا بهذا الأسلوب المرسخ لليقين على قدرة الله سبحانه وكمال صفاته، فأنابوا إلى ربهم، فلم يتأفوا ولم يقنطوا، فتدخل القدرة الإلهية رؤها خيراً، خاصة بعد إلهام الله لهم الغاية مما حدث.

ثالثاً: أسلوب الحرمان من النصر

إن الهزيمة التي تعرض لها الصحابة رضوان الله عليهم يوم حنين - وهم كثير العدد - ليس إلا تربية من الله لهم ليزدادوا يقيناً به سبحانه.

فمرارة الهزيمة لا تعد شيئاً مقابل ما جنوه من زيادة في الإيمان، والتمتع بنشوة اليقين بقدرة الله على النصر، كما أكدته آيات السور الكريمة كما في قوله سبحانه: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(١) وقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾^(٢).

(١) سورة آل عمران، الآية (١٢٦).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٢٣).

رابعاً: أسلوب الحرمان من التوفيق

إن تيسر الأمور وتهيئة الظروف يعد توفيقاً من الله سبحانه وامتثالاً، وإذا حرم منه امرؤ فقد حرم من الخير الكثير -والعياذ بالله-، والسيدة مريم عليها السلام كنموذج لهذا الجانب كما سبق - حرمها الله التوفيق في عدم استمرار الكرامة التي أكرمها بها وهي في المحراب، فالرزق لم يكن ليأتيها وقت ولادتها كما كان في السابق، فقد أمرت بالاعتماد على الأسباب والمتمثل في هز النخلة.

إن هذا التكليف -هز جذع النخلة- كان بالنسبة لها نعمة أكثر من أن يكون مشقة وتكليفاً بديناً، ففي ذلك تربية من الله لها على اليقين عليه وحده وأنه القادر وحده على كل شيء بالأسباب وبغير الأسباب.

خامساً: أسلوب الحرمان من السعة

إن مما ينشده المرء في هذه الحياة سعة العيش، سواء كان بسعة المكان، أو الرزق.

والحرمان من السعة في ذلك سبيل إلى تربية اليقين وعندئذ لا يعد ذلك في حقيقته حرماناً، إذ في سبيل كبر الغاية تهون كل العوائق والمحن، وسيدنا يونس عليه السلام هو من ربي على اليقين بهذا الأسلوب من المجاهدة العملية، فقد خرج عن قومه -كما تبين في التحليل- في سبيل الحصول على المكان الآمن، مدركاً أن أرض الله واسعة، فشاء الله أن يضيق عليه هذا الاتساع ليجعله في ظلمات بطن حوت، ليدرك بعد ذلك يقيناً أن الحصول على سعة العيش المكاني ليس بمقدور المرء ما لم يأذن له الله بذلك، فما كان منه عليه السلام إلى التوبة والإنابة، ليخرج من بطن الحوت وكله يقين على الله وحده.

سادساً: أسلوب الحرمان من الخلاص من المحنة:

إن المرء في هذه الحياة معرض للمصائب والمحن، ولكن كله أمل في الخلاص منها، إذ الحياة يسر وعسر، شدة ورخاء، وما على المرء المؤمن إلا أن يلجأ إلى الله وحده للخلاص منها، وإن استدعى الأمر الاستعانة بالمخلوق فلا ينبغي التيقن أنه بالاستطاعة الفكاك والعون في الخلاص، ركوناً إلى القوة واعتقاداً في

القدرة المحدودة، ولا ينبغي الاطمئنان إلى وعود المخلوق والارتياح إلى تعهداته مهما بلغت منزلته وعلت مكانته، والمتقين الحق بخالقه يدرك أن هذا المخلوق المرتجى عونه لا يعدو كونه سبباً، لا أكثر من ذلك.

إن سيدنا يوسف عليه السلام هو من رباه ربه بهذا الأسلوب من المجاهدة العملية التربوية لبلوغ ذروة اليقين، فقد شاء الله أن يبقيه في السجن حيناً من الوقت، فلم ينفعه عليه السلام اعتماده على ساقى الملك الذي أوصاه بأن يخبر سيده الملك عنه عليه السلام، ليزداد يوسف عليه السلام يقيناً بخالقه وحده كما تبين في التحليل -.

المطلب الثاني: أسلوب التجربة والمشاهدة الحسية المحفوفة بالمشقة

إن مما لا شك فيه أن المشاهد عياناً لأي أمر تغرس اليقين بذلك الأمر، وكلما كانت تلك المشاهدة محفوفة بالمشقة كانت أكثر تأثيراً وأقوى رسوخاً، كروية منظر مثير للدهشة أو مخيف.

إن سيدنا إبراهيم عليه السلام، وسيدنا العزيز عليه السلام هما من رباهما جل وعلا بهذا الأسلوب من التربية.

فسيدنا إبراهيم عليه السلام كلفه سبحانه في سبيل زيادة يقينه بقدرة خالقه بأن يجمع أربعة من الطير ويمزقهن ويوزعهن على قمم الجبال ثم يدعهن ليأتينه سعياً - كما ذكر في التحليل -، فقد تحمل المشاق في سبيل رسوخ اليقين على ذلك، وإلا فالله قادر أن يريه ذلك من خلال أمره بذبح ما هو سهل المنال، كما أنه لا داعي إلى إنهاك البدن صعوداً وهبوطاً للجبال، ولكن شاء الله أن يكون لهذا الحدث الشاق وقعه الذي لا ينسى.

وسيدنا العزيز عليه السلام أراه الله قدرته من خلال إماتته مائة عام، ومشاهدته عياناً ما يحدث لعظام حمارة حتى عادت إليه الحياة، إن حدثاً كهذا كفيل بأن يترك أثراً في القلب لا سبيل إلى نسيانه.

المطلب الثالث: أسلوب التذكير بالنعم والمصائب.

إن من طبيعة النفس الإنسانية النسيان، والإسلام بتشريعاته الحكيمة حث على التذكير بكل ما من شأنه تقوية الإيمان وزيادة اليقين كما في قوله سبحانه ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١).

إن سيدنا موسى هو ممن ربي في سبيل زيادة يقينه بخالقه القدير فقد حكى القرآن الكريم تذكير الله له بما مر به من نعم ومحن، فقد ذكره الله سبحانه بأن ما مر به من أحداث عصبية منذ يوم ولادته إنما كانت محفوفة بالرعاية من ذي القدرة العالية - سبحانه وتعالى-، وقد عزز هذا التذكير بالأحداث بحوافز هامة منها التعهد له بحفظه ورعايته عليه السلام، وأنه مصطفى من الله، ومن دلائل هذا الاصطفاء ما رآه عياناً من تحول العصا إلى حية وعودتها عصا، كل ذلك ربي في قلب سيدنا موسى اليقين بقدرة خالقه على حمايته وعونه، فذهب عليه السلام إلى فرعون دون تردد ولا وجل.

(١) سورة الذاريات، الآية (٥٥).

التطبيقات العملية للمنهج المستخلص المربي لليقين بقدرة الله:

يمكن تفعيل منهج المجاهدة العملية بمختلف أساليبه الهادفة إلى تربية اليقين بقدرة الله سبحانه، كآتي:

أولاً: التطبيقات العملية لأسلوب الحرمان من المحبوب:

إن منهج المجاهدة العملية الذي تمثل في أسلوب الحرمان من هذا المحبوب هو الذي خلص إلى استنتاجه السلوكيون من علماء النفس والمسمى عندهم بالعقاب السالب، وقد عدوا استخدامه كأسلوب تربوي- أكثر نفعاً وهو في نفس الوقت أقل ضرراً إذا ما قورن بالأسلوب المتمثل بإلحاق الأذى والمسمى عندهم بالعقاب الموجب^(١)، ورب العزة والجلال الحكيم في تربيته استخدم هذا النوع من الأساليب في تربيته لخاصته من البشر كما بينا- فأخذ المحبوب عن النبي أو الولي أقل أذى وضرراً من إصابته بمصيبة معينة مؤلمة حسيماً.

إن من التطبيقات العملية لأسلوب الحرمان من المحبوب كما قرره السلوكيون من علماء النفس: حرمان الأم طفلها من شيء يحبه إذا ما تلفظ بألفاظ نابية مثلاً، وحرمان الطالب من علامات النجاح إذا ما غش في الامتحان، وحرمان الموظف من إجازته إذا ما تسبب في عمله، وهكذا.

فمما يلاحظ أن أمر العقوبة لهؤلاء اقتصر على فقد محبوب لديهم، ولم يتعدده إلى إنزال العقاب كالضرب أو الفصل من الدراسة أو العمل. ولكن ولأن الدراسة هذه تهدف إلى تربية اليقين بقدرة الله من خلال منهج يراه الباحث فعالاً في هذا الشأن فإن التطبيقات العملية لأسلوب الحرمان من المحبوب كمنهج تربوي يكمن في تكليف النفس بإبعادها عن كل المحبوبات التي تشغلها عن الله سبحانه وتعالى- بحيث لا يكون في القلب محبوباً ولا معتقداً بقدرته سواه جل وعلا-.

(١) Catania, A Charles (University of Maryland Baltimore Country) Learning Third Edition. New Jersey, Prentice-Hall. Intentional Inc. 1992. Chapter 5 Consequences of Responding: Aversive Control 90.

ومن طرق تفعيل هذا الأسلوب، الآتي:

أولاً: ترويض النفس بالعبادات العملية المفروضة، فالعبادات كلها طريق إلى اليقين بالله سبحانه، بشرط أن يكون الخشوع والإخلاص رائدها، فثفاوت الخشوع والإخلاص في العبادات هو سر تفاوت يقين القائمين على تلك العبادات من شخص لآخر.

إن رب العزة والجلال جعل طريقة اتصال العبد بخالقه وانقطاعه عن محبوباته فيها تدرج يتمثل في التالي من العبادات:

١ - الصلاة:

وهي عبادة عملية تحتاج إلى استحضار عظمة الله في القلب، وإبعاد كل من سواه سبحانه، والفترة الزمنية التي تحتاجها المجاهدة العملية النفسية والبدنية في ذلك قليلة، فهي لا تتعدى دقائق، ولكن في تكرار هذه المجاهدة النفع، إذ القلب سينال الصفاء والنقاء الذي يؤهله النظر إلى الحياة بما فيها بنظرة المتيقن.

٢ - الصوم:

وهي عبادة عملية تحتاج إلى مراقبة الله واستحضار عظمته والانقطاع عن المحبوبات فترة من الوقت في كل يوم، والباحث إذ يتحدث عن الصوم كأسلوب تربوي لا يعني صوم من ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، بل يعني صوم المخلصين.

٣ - الزكاة:

وهي عبادة عملية مطهرة للنفس من داء الشح ومما تتعلق به النفس من مال بشتى أصنافه، لتكون هذه الشعيرة وسيلة لزيادة اليقين بالخالق الرازق جل وعلا.

٤ - الحج:

شعيرة يكون من خلالها ترك لكثير من المحبوبات القلبية ليبقى القلب لله وحده، فهي بمثابة ترويض للنفس على التخلص مما قد يلهو به القلب وينشغل، من المال والولد وغيره.

ثانياً: ترويض النفس على التخلي مما قد يشغل القلب عن الله من خلال شعيرة الاعتكاف المشروعة في المساجد، وهي شعيرة ترقى بالقلب بحيث تجعله مشرباً بحب الله وحده، بحيث يعتقد بأنه هو وحده سبحانه المعتمد والمتوكل عليه والمتيقن بقدرته.

ثالثاً: ترويض النفس على التخلي مما قد يشغل القلب عن الله من خلال شعيرة الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله سبحانه، سواء كان هذا الجهاد خروجاً في سبيله سبحانه لنشر دينه، أو تذكيراً للمؤمنين به، أو كان رباطاً في ثغرة من ثغور الإسلام، أو كان انقطاعاً لطلب العلم النافع، كل هذا وذلك يكسب النفس صفاءً روحياً، وارتياحاً نفسياً، يزداد تمكنه كلما زادت فترة الابتعاد عن المحبوبات في سبيل تلك المهام العالية المخلص فيها لله وحده.

رابعاً: تجنب المعاصي أياً كان نوعها ولو بالتفكير فيها، وإجهاد النفس في التفكير في كل ما من شأنه تقوية الإيمان، فإن ترك المعاصي كغض البصر مثلاً يولد حلاوة في القلب كما ورد في الحديث.

ثانياً: التطبيقات العملية لأسلوب المشاهدة العملية المحفوفة بالمشقة.

يمكن تفعيل هذا الأسلوب عملياً من خلال الآتي:

- ١ - الاهتمام بالجانب العملي من العلوم، كعلم الأحياء والكيمياء وعلم طبقات الأرض وعلم الفيزياء والفلك، والنظر إلى تلك العلوم بنظر الراغب في تقوية اليقين وزيادة الإيمان، إذ تتجلى من خلال تلك العلوم عظمة الله وقدرته عياناً.
- ٢ - تكليف النفس في مشاهدة الظواهر الطبيعية التي تتجلى فيها قدرته سبحانه وضعف من سواه، فروية الزلازل والبراكين والانهيارات الأرضية وغيرها لها وقعها على القلب، ومما لا شك فيه أن تكليف النفس في مشاهدة ذلك عياناً -ولو بالنظر إلى ما تخلفه من آثار- أكثر أثراً من السماع عنها أو رؤيتها في التلفاز.
- ٣ - تكليف النفس السير في الأرض بهدف مشاهدة ما حل بالأقدمين، ممن ذكرهم الله سبحانه من الأقوام على مر العصور ليدرك المرء مدى قدرته سبحانه على خلقه؛ كما أن دراسة التاريخ ينبغي أن تكون لهذا الهدف.
- ٤ - تكليف النفس تتبع أخبار تطور الحياة وما فيها من مخترعات مذهلة ألهم الله إليها فكر الإنسان، ومشاهدة ذلك عياناً، ليرى قدرة الله سبحانه في ذلك، والأجدر نفعاً في سبيل ذلك الاهتمام بهذا الأمر أي المخترعات وتطويرها.
- ٥ - تكليف النفس البحث والتأمل في عواقب من علا في الأرض ممن أدركهم، سواء كان سبب تعاليه ماله، أو مركزه وجاهه، أو منعته وقوته.

ثالثاً: التطبيقات العملية لأسلوب التذكير المحفوف بالمشقة، تكمن في التالي:

أولاً: إجهاد النفس في البحث عن البيئة الصالحة المعززة للالتزام والاستقامة.

ثانياً: تكرار تذكر نعم الله الكثيرة التي امتن الله بها.

ثالثاً: إجهاد النفس في استحضار القلب حال قراءة كتاب الله سبحانه.

رابعاً: إجهاد النفس في استحضار القلب حال التفكير في هذا الكون.

خامساً: إجهاد النفس في التحدث عن عظمة الله وقدرته وإجهادها في سماع ذلك،

من خلال حضور حلقات الذكر ومجالس العلم أينما وجدت.

سادساً: زيارة المرضى وذوي العاهات.

سابعاً: تكليف النفس بحضور الجنائز وزيارة القبور للتعاطف.

ثامناً: كثرة ذكر الله واستغفاره وتكليف النفس في استحضار القلب عند ذلك.

المبحث الثاني: الدلالات التربوية، والتوصيات

إن المنهج القرآني في تربية اليقين بقدره الله الذي تم استخلاصه له دلالات تربوية يجدر بالمرء الوقوف عندها، وعند تأمل الباحث تلك النماذج التي صنف كل اثنين منها تحت جانب من جوانب القدرة الإلهية -عدا جانب القدرة على النصر والغلبة إذ اقتصر على أنموذج واحد فقط -عند تأمله لكل ذلك خلص إلى استنتاج دلالات تربوية يمكن تحديدها على النحو الآتي:

أولاً: الدلالات التربوية المستخلصة من منهج تربية اليقين بقدره الله على الرزق

من خلال النموذجين الكريمين الذين تم دراستهما والمتمثلين في قصة السيدة مريم عليها السلام، وقصة أصحاب الجنة كمثاليين على تربية اليقين على الرزق، يمكن إجمال الدلالات التربوية المستخلصة في النقاط التالية:

- ١ - المنهج القرآني للمربي لليقين بقدره الله على الرزق يخرس في قلب المرء القناعة، والرضا بما وهبه الله له، فلا يعيش متمنياً ما لا يتيسر له، ولا يستطيع إلى ما وهب غيره ولم يوهب له، متيقناً أن السعادة ليست في وفرة أعراض الحياة ولكنها في داخل النفس^(١).
- ٢ - يمنح المرء السكينة ويجنبه الإفراط والغلو الذي يرهق النفس والبدن معاً^(٢).
- ٣ - يجعل المرء يعيش وكله حباً للناس، مهما اختلفت طبقاتهم، فهو يؤمن أن القسمة بين الناس في المعاش إنما هي قسمة الله، ومن تمام الإيمان وكمالها الرضا بقسمته، إذ في كل من الغنى والفقر حكمة لا يعلمها إلا الله وحده، وعلى كل يحمد المرء ربه ويشكره.

(١) القرطبي، الإيمان والحياة، ١٩٩٣، ص ١١٩.

(٢) المصادر السابق، ص ١١٩.

- ٤ - يدفع النفس إلى الاستعلاء على دنايا الأفعال^(١)، لإدراك هذه النفس أن خزائن السموات والأرض لله سبحانه وتعالى. فلا ترضى تلك النفس أحداً بسخط الله، ولا تذم أحداً على ما لم يؤتها الله، مدركة هذه النفس المرباة على اليقين أن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كره كاره^(٢). وما كتبه الله آتٍ لا محالة، لا يحتاج إلى تملق، ولا إلى تذلل لغير الله، إذ اليقين بأن المسخر للقلوب بالمنع والإعطاء هو الله وحده يدفع النفس إلى عدم الطمع بما في أيدي الناس^(٣)، فتتولد بذلك العزة المحمودة في هذه النفس المرباة على اليقين.
- ٥ - يخلص المرء من هموم الخوف والقلق على المعاش، فيعيش مرتاح البال، قرير العين، مما يعكس هذا الشعور على ظاهر حياته مع الآخرين ويدفعه إلى التوكل الحقيقي على الله سبحانه، كما يدفعه إلى الإنفاق وعون الضعفاء والمحاجين دون خوف من الفقر أو النقص.
- ٦ - يجعل المرء دائم المراقبة لله سبحانه، مما يعني التزامه الالتزام الأمثل بما عليه بينه وبين الله، وبينه وبين العباد، باقي المخلوقات من حيث رحمته بها، وعطفه عليها كما أمر سبحانه.

(١) قطب، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٥٧٩، تفسير قوله سبحانه في سورة المنافقون الآية (٧): ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينقضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون﴾.

(٢) الحيطالي، قناطر الخيرات، ج ١، ص ٢٧٠.

(٣) ابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٢٨.

ثانياً: الدلالات التربوية المستخلصة من منهج تربية اليقين بقدرة الله على الإحياء والإماتة

في هذا الجانب من قدرة الله تم دراسة قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام المتعلقة بطلبه من ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى، وقصة سيدنا العزيز (الرجل الذي مر على القرية الخاوية على عروشها)، ومن خلال ما تم طرحه، يخلص الباحث إلى الدلالات التربوية التالية:

- ١ - المنهج القرآني المربي لليقين بقدرة الله على الإحياء والإماتة يربي في النفس الشجاعة والإقدام في الحق، مما يعني الجرأة في إحقاق الحق، وإبطال المنكر، ونصرة الملهوف.
- ٢ - يولد في النفس العزة والإباء، مما يعني عدم تنكيس الرأس ذلاً وصغاراً إلا لله وحده.
- ٣ - يؤنس النفس بفيض من الروحانيات، التي لها الدور الفعال في الطمأنينة القلبية والسكنية والثبات حتى في ساعات العسرة.
- ٤ - يجعل النفس تقدم على الإصلاح دونما فتور ولا توان، وبهمة عالية، وعزيمة وقادة، إذ يتمنى المربي على هذا المنهج الموت في ساحات الخير والعطاء.
- ٥ - يربي في نفس المرء الخشية من الله وحده، والفرار من كل ما نهى عنه من فحشاء، وظلم للغير.
- ٦ - يجعل النفس على استعداد دائم للموت، مما يعني عدم الزيف عما شرع الله مخافة الموت حالة الزلة والخطيئة.

ثالثاً: الدلالات التربوية المستخلصة من منهج تربية اليقين بقدرة الله على الحفظ والحماية

من خلال دراسة قصة سيدنا يعقوب عليه السلام، وسيدنا موسى عليه السلام، والمنهج الذي رباهما الله تعالى عليه من اليقين بقدرته سبحانه وأنه وحده القادر على الحفظ والحماية، يمكن استخلاص الدلالات التربوية التالية:

- ١ - المنهج القرآني يبعد عن النفس الهواجس والوساوس، ويجعلها تشعر بالراحة النفسية والسكينة والاطمئنان.
- ٢ - يكسب النفس الثقة بالله وحده مما يعني عدم التوسل أو الاتكال على غير الله سبحانه، كما يكسبها الأنفة والإباء من حيث عدم الخضوع -خضوع الإنكسار والذل -لغير الله سبحانه.
- ٣ - يولد في النفس الشجاعة والإقدام.
- ٤ - يكسب المرء نشاطاً وحيوية في أعماله كلها.

رابعاً: الدلالات التربوية المستخلصة من منهج تربية اليقين بقدرة الله على النفع والضر

من خلال دراسة قصة سيدنا يوسف عليه السلام، وسيدنا يونس عليه السلام، والمنهج الذي رباهما الله به يخلص الباحث إلى الدلالات التربوية التالية:

- ١ - يغرس في قلب المرء التوكل الحقيقي على الله، وعدم الركون إلى الأسباب بالاعتماد عليها كل الاعتماد، وعدم الخوف إلا من الله.
- ٢ - يولد في النفس العزة والاستعلاء عن سفاسف الأمور، ودنيا الأفعال مما لا يقرها الشرع الحنيف.
- ٣ - يدفع النفس المرباة به إلى الجهر بكلمة الحق، ونصرة المظلوم، وعدم المحاباة على حساب الحق والعدل.
- ٤ - يدفع المرء إلى الرضى والاستسلام لكل ما يصيبه دون تبرم ولا قنوط، استسلام رضى وقبول بما جاء من عند الله، لا استسلام ركود ويأس.
- ٥ - المنهج المربي لليقين على أن الله هو النافع والضرار يكسب المرء السعادة والاطمئنان من حيث أنه سبحانه وحده القادر على دفع الضر وصرف البلاء ولو تكالب مريدوه.

خامساً: الدلالات التربوية لمنهج تربية اليقين على النصر والغلبة

لقد تم في هذا الجانب دراسة تربية الله للصحابة الكرام رضي الله عنهم - على اليقين بقدرته سبحانه على النصر والغلبة، ومن خلال المنهج الذي ربوا عليه، يمكن استخلاص الدلالات التربوية التالية:

١ - يغرس في قلب المرء الثقة التامة بالله وحده، مما يعني الاعتماد الكامل عليه وحده، وعدم الركون إلى من سواه.

٢ - يربي في النفس العزة والكبرياء المحمودين، بعدم الرضا بالاستكانة والذل الذي قدر يفرضه الغير.

٣ - يكسب المرء الشجاعة والإقدام لتفخته التامة بالله أنه سبحانه ناصر من نصره بالطاعة والإخلاص.

٤ - يبعد عن النفس الجزع والسامة، فالله سبحانه قادر على هزيمة الخصم دون أي تدخل من المرء أحياناً، كما حدث في غزوة الأحزاب، إذ أرسل الله جنوداً لم يرها المؤمنون وريحاً دكت معاقل الأحزاب، وأجلتهم عن المؤمنين، وهم من هم من حيث العدد والعتاد.

٥ - يشعر نفس المرء بالارتياح النفسي التام، إذ المقياس لنيل النصر هو تقوى الله سبحانه وتعالى وطاعته، وإن وجد هذا فالنصر حليفهم بإذن الله - وهذا وعدٌ منه، والله لا يخلف الميعاد.

٦ - يربي في نفس المرء التواضع وعدم الزهو والغرور عند النصر، وعدم اليأس والقنوط عند الهزيمة.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

لقد اعتنت هذه الرسالة بدراسة قصص عددٍ من الأنبياء والأولياء -عليهم السلام- الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، والباحث في هذه الدراسة لم يستقص كل قصص من قام بدراستهم بل اعتنى بالبحث في المشاق التي واجهتهم في شخصهم عليهم السلام، وقد عزاها الباحث إلى أنها منهج تربوي رباني، أخبر الله به في كتابه ليتخذ منهاجاً في تربية اليقين بقدرة الله في هذه الحياة، كونهم عليهم السلام القدوة، وكون قصصهم فيها العبر والعظات والدروس.

ولكون الموضوع جديداً لم يتطرق أحد بالبحث فيه بهذه الكيفية -حسب علم الباحث- إذ رأى أن كل ما تعرض له من قام بدراستهم إنما هو تربية لهم على اليقين بقدرة خالقهم، وذلك لما بدر منهم من تصرف ينبئ عن احتياجهم إلى هذا النوع من التربية- لذلك يرى الباحث أن ما توصل إليه لا يعدو كونه اجتهاداً شخصياً يروق لأي مجتهد أن يرى خلافه.

وقد استخدم الباحث في دراسته هذه المنهج التحليلي الاستنباطي فجعل كل أنموذجين يندرجان تحت جانب من جوانب القدرة الإلهية، ثم قام بالتحليل؛ ففي جانب القدرة على الرزق تناول الباحث دراسة قصة السيدة مريم عليها السلام، وقصة أصحاب الجنة الوارد ذكرهم في سورة القلم؛ وفي جانب القدرة على الإحياء والإماتة تناول الباحث دراسة قصة سيدنا إبراهيم المتعلقة بطلبه من ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى، وقصة سيدنا العزيز (الرجل الذي مر على القرية الخاوية)؛ وفي جانب القدرة على الحفظ والحماية تناول الباحث دراسة قصة سيدنا يعقوب عليه السلام، وقصة سيدنا موسى عليه السلام؛ وفي جانب القدرة على النفع والضر تناول الباحث دراسة قصة سيدنا يونس عليه السلام؛ وفي جانب القدرة على النصر والغلبة تناول الباحث دراسة قصة الصحابة رضي الله عنهم-

في غزوة حنين. وقد كان تحليله لكل قصة من هذه القصص في ثلاثة محاور:

المحور الأول: التصرف الذي بدر ممن يراد دراسته والبدال -أي التصرف- على احتياج صاحبه إلى زيادة اليقين فيه.

المحور الثاني: الكيفية التي تمت بها تربية اليقين فيه.

المحور الثالث: من دلائل انغراس اليقين في من تمت تربيته.

وكان مما خلص الباحث في دراسته تلك ما يلي:

١ - المنهج الذي ربي الله عليه خاصته على اليقين به هو منهج المجاهدة العملية للنفس والبدن، وتأتي بعدة أساليب، مفادها إجهاد النفس في إبعادها عن محبوباتها الدنيوية التي عادة ما يكون لها الدور -أي المحبوبات- في نقصان اليقين، وذلك من خلال شغلها للقلب عن الله سبحانه.

٢ - الأوامر الربانية والتوجيهات النبوية المتمثلة في العبادات كالصلاة والصيام والزكاة والحج وشعيرة الاعتكاف، والانقطاع لطلب العلم النافع، والخروج للدعوة في سبيل الله، وكثرة التحدث عن عظمة الله، والمرابطة في ثغور الإسلام وغيرها، تعد التطبيق العملي للمنهج المرسي لليقين الذي تم استخلاصه، إذ بكل ذلك تصفو النفس، ويزداد يقينها على خالقها.

٣ - الاهتمام بالعلوم العملية كعلم الأحياء، وعلم البحار، وعلم الفضاء، وعلم طبقات الأرض وغيرها من العلوم يعد أسلوباً لتربية اليقين، إذ تتجلى من خلالها قدرة الله عياناً.

٤ - من أهم دلائل انغراس اليقين في قلب المؤمن هو استقامته الكاملة على أوامر الله، والتي لا تأتي إلا بالاستشعار التام لعظمة الله وقدرته في كل وقت وفي كل مكان، استشعاراً يدفع إلى الطاعة والالتزام، مع دعوته الآخرين إلى ذلك.

والحمد لله رب العالمين

التوصيات:

تبين من خلال هذه الدراسة أن أهمية المنهج التربوي لليقين تكمن في غرس عقيدة التوحيد، القائمة في الأساس الأول على تعريف الناس بخالقهم -جل شأنه-، ومن ثم المجاهدة العملية للنفس، الهادفة في تثبيت هذه العقيدة وتميئتها في القلب، لتدفع بالنفس إلى فضليات الأمور من الأعمال والأقوال.

وفي ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة من حيث أهمية تكاتف الجهود لتربية اليقين لدى الأفراد، كونه هدفاً يسعى لتحقيقه الجميع، يرى الباحث أن يقدم هذه التوصيات:

١ - من الضروري أن يولي أولياء الأمور العناية بغرس العقيدة الصحيحة في قلوب الناشئة منذ الصغر؛ وذلك بالإكثار من تذكيرهم بخالقهم -سبحانه وتعالى- الذي تتجلى عظمته وقدرته من خلال بديع صنعه في هذا الوجود.

٢ - من المهم أن يكون القائمون على عملية التربية في المؤسسات التعليمية كلهم من ذوي الفكر السليم والنظرة السديدة، بحيث تتظافر جهودهم في القيام بالهدف، إذ أن اختلاف توجهاتهم الفكرية يولد خلاف ما يرتجى تحقيقه؛ إضافة إلى أن يكون هؤلاء القدوة العملية والسلوكية لمن يقومون بتربيتهم.

٣ - من الضروري إزالة كل ما من شأنه إضعاف يقين الناس بخالقهم، كأن يسند الخير والفضل إلى غير الله، أو أن تغرس المهابة من المخلوق في القلوب - كما تقوم بذلك المؤسسات الإعلامية وغيرها- وذلك حتى لا تنافس عظمة الله في القلب بعظمة أي مخلوق.

٤ - كون المحبوبات الدنيوية ذات تأثير قوي في زعزعة اليقين بالله، فإن الباحث يوصي بضرورة الابتعاد عنها ريثما تفوق محبة الله والأنس به والاعتماد عليه تفوق أي محبوب آخر، وهذا لا يتأتى إلا بمجاهدة النفس في إبعادها عن المحبوبات الدنيوية، وبمجاهدتها لأن تكون في البيئات التي تبعد عن فكرة

محبوباته، ولا تذكره إلا بالله سبحانه؛ وذلك قياساً على أن المحبوبات الدنيوية لم يهتم القلب بها إلا لإلفه لها، ودوام تذكره لها.

٥ - كون ذكر الله سبحانه تليين به القلوب وتطمئن، فإن الباحث يوصي بالإكثار من ذلك كما يوصي أيضاً بالإكثار من تذكير الآخرين بذلك، كون القلب يكثر حبه لمن يتذكره.

المراجع والمصادر

- ١- أطفيش، تيسير التفسير، وزارة التراث، سلطنة عُمان، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٢- أطفيش، هيمان الزاد إلى دار المعاد، طبعة وزارة التراث، سلطنة عُمان، دط، دت.
- ٣- إبراهيم، عبد القادر الشيخ، غزوة حنين، منشورات دار القلم العربي، حلب، سوريا.
- ٤- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، استنبول، تركيا، دط، دت.
- ٥- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، صيد الخاطر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٠م.
- ٦- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، الرياض، السعودية، ط١، ١٩٧٨م.
- ٧- ابن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- ٨- ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، دط، ١٩٨٤م.
- ٩- ابن قدامة، أحمد بن محمد عبد الرحمن، مختصر منهاج القاصدين، تقريظ وهبه الزحيلي، دار الخير، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

- ١٠- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن قيم، بدائع الفوائد، دار البيان، دمشق، سوريا، ط ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- ١١- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الفكر، دمشق، سوريا، تحقيق محمد حامد الفقي، دط، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ١٢- ابن قيم الجوزية، مدارك السالكين، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ١٣- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة علوم القرآن، عجمان، الإمارات العربية المتحدة، ط ١، دت.
- ١٤- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٠٠م.
- ١٥- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، تحقيق مصطفى البغا.
- ١٦- البستاني، بطرس، محيط المحيط، (قاموس مطول اللغة العربية)، مكتبة لبنان، بيروت، دط، ١٩٧٧.
- ١٧- البستاني، عبد الله، فاكهة البستان، المطبعة الأميركية، بيروت، لبنان، دط، ١٩٣٠.
- ١٨- البوطي، محمد سعيد رمضان، كبرى اليقينيّات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط ٦، دت.
- ١٩- الترمذي، محمد عيسى السلمي، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، دت.
- ٢٠- ابن قيم، الجوزية، عبد الله، الروح، دار الجيل، بيروت، دط، دت.

- ٢١- الجزائري، أبو بكر جابر، منهاج المسلم، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، الطبعة ٨، ١٩٧٩م.
- ٢٢- الجليل، عبد العزيز بن ناصر، وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، دار طيبة، السعودية، ط ٢، دت.
- ٢٣- الجيطالي، إسماعيل بن موسى، قناطر الخيرات، وزارة التراث، سلطنة عُمان، دط، ١٩٨٣م.
- ٢٤- حميد الله، محمد، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط ٤، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ٢٥- حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام، بيروت، لبنان، ط ١، دت.
- ٢٦- الخليلي، أحمد بن حمد، جواهر التفسير، أنوار من بيان التنزيل، مكتبة الاستقامة، سلطنة عُمان، دط، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- ٢٧- الدقس، فؤاد حمدو، نساء في القرآن الكريم، دار القلم العربي-سورية، ط ١، دت.
- ٢٨- الدوماني، منير محمد، الوصول إلى اليقين (دراسة في فكر العالم بديع الزمان سعيد النورسي)، دار البشير، عمان، الأردن، دط، دت.
- ٢٩- الراوي، محمد، القرآن والإنسان، مطبوعات أخبار اليوم، القاهرة، مصر، دط، دت.
- ٣٠- رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ٢، دت.
- ٣١- الزحيلي، وهبه، التفسير الوجيز، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط ١، دت.
- ٣٢- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ٣، دت.

- ٣٣- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.
- ٣٤- الزنبيدي، عبد الرحمن بن زيد، مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر، دار اشبيليا، الرياض، السعودية، ط١، دت.
- ٣٥- الزين، محمد بسام رشدي، مدرسة الأنبياء عبر وأضواء، دار الفكر، دمشق، سوريا، دط، دت.
- ٣٦- السالمي، عبد الله بن حميد، جوهر النظام في علمي الأحكام والأديان. دار الجبل، بيروت، لبنان، ط١، دت.
- ٣٧- الشعراوي، محمد متولي، الفتاوي، دط، دت.
- ٣٨- الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، القاهرة، مصر، دط، دت.
- ٣٩- الشعراوي، محمد متولي، دروس في الدعوة والمنهج، دار القلم، بيروت، لبنان، دط، دت.
- ٤٠- الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء، دط، ١٤٠٠هـ.
- ٤١- الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٨١م.
- ٤٢- العقاد، عباس محمود، عبقرية خالد، نهضة مصر، القاهرة، مصر، دط، دت.
- ٤٣- عباس، فضل حسن، قصص القرآن، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط١، دت.
- ٤٤- عبد ربه، عبد الحافظ، فلسفة الجهاد في الإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، ١٩٨٢م.

- ٤٥- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رئاسة إدارة البحوث، السعودية، دط، دت.
- ٤٦- عميرة، عبد الرحمن، منهاج القرآن في تربية الرجال، دط، دت.
- ٤٧- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب [مختصر من كتاب المكاشفة الكبرى للغزالي]، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، دت، ضبطه وصححه عبد الوارث محمد علي.
- ٤٨- الغزالي، محمد، الجانب العاطفي في الإسلام، بحث في الخلق والسلوك وتهذيب النفس، دار القلم، دمشق، سورية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٤٩- الغزالي، محمد، علل وأدوية، دار الدعوة، الإسكندرية، مصر، ط٣، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- ٥٠- الغزالي، محمد، مع الله (دراسات في الدعوة والدعاة)، دار القلم، دمشق، سوريا، دط، دت.
- ٥١- القرضاوي، الإيمان والحياة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١٦، ١٩٩٣.
- ٥٢- القرضاوي، يوسف، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، دط، دت.
- ٥٣- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، دت.
- ٥٤- قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط٣، دت.
- ٥٥- قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط١٧، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

Abstract

The Quranic Way to Promote Certitude (YAKIN) About ALLAH'S Omnipotence and Its Educational Significance

(A Study Through the Education of Allah for His Prophets and Masters)

Prepared by:

Mubarak Bin Musllam Bin Masoud Al-Shaabani

Supervision by:

Prof. Mohammad Ali Al-Omari

This writing addresses the study of certitude education in Quran through the analysis of nine samples of stories about God's prophets and allegiant persons, who were raised on certitude about the multifacet omnipotence of God (The capacity to provide with the means of subsistence, the capacity to give life and take it back, the capacity to preserve and protect, the capacity to benefit and harm, the capacity to grant victory or cause defeat). The researcher used the analytical, inferential approach and analyzed each sample from three angles as follows:

1. The sample's need for more certitude exhibited by what he did or said.
2. The method that was used to develop certitude in the sample.
3. The evidence that certitude has been embedded in the sample.

The most important findings of the study are:

First: The method used by God to raise his selected individuals-which can be made effective and useful because it is Quranic. This method is represented by the (practical struggle) which comes-as the researcher believes-after the individual is introduced to his creator and his divine qualities, including his absolute omnipotence which is the theme of this writing.

The "practical struggle" methodology preserves the findings reached about the qualities of God. Many elements were concluded from the stories

of the descent samples that were presented and analyzed. Each element can be considered as an approach and as an educational means for certitude. These elements are:

1. The approach of depriving the individual from the pleasures of life with the aim of education rather than revenge.
2. The approach of exposing the individual to the experiment and to the tangible observation that involves suffering.
3. The approach of reminding the individual of bad previous experiences that are reinforced with subsequent motives.

Second: Complete certitude about God must not be rivaled by any level of certitude about any created thing or person.

Third: The deprivation of the believer-who hopes for complete certitude from God-from the pleasures of life can be a blessing from God so that the individual's heart will be devoted to God. This means that the believer's love for the pleasures of life must not reach the level of love for the creator. Otherwise these pleasures will take him away from performing his duties towards his God.

Fourth: The God's orders in Quran and the prophet's directions in Sunna all lead to the development of certitude in the heart of the person if he/she practices these things in his/her life. All of these orders and directions lead the individual in his/her totality towards God and lead to the devotion of the heart to God alone.

In the light of these conclusion, the study makes the following recommendations:

All educational institutions such as the family and the school and all the public and private establishments must pay utmost attention to everything that strengthens certitude and increases belief in God so that the individual will not have any chance to forget the creator or glorify any body else.